الكارولنجيون في مواجهة غزوات النورمان إبان العقد الخامس من القرن التاسع الميلادي

د/ نهى حافظ عبد المبدي
باحثة وعضو اتحاد المؤرخين العرب

ملخص البحث:

منذ السنة الختامية للقرن الثامن الميلادي، _أي سنة ٧٩٩م_، كان على المملكة الكارولنجية مواجهة غزاة جدد، وفدوا إليها من البلدان الإسكندنافية، وكان غالبتهم العظمى من الدانمرك، والقليل منهم من النرويج ثم السويد.

أن النورمان أثاروا هياجاً ونهباً ورعباً ودماراً، وتلطخت أيديهم بدماء الأبرياء في كل موضع وطأت فيه أقدامهم؛ كل هذا من أجل الثراء السهل والسريع. فبمجرد انطلاقهم من بحر البلطيق وإبحارهم في بحر الشمال ثم بحر المانش وشرقي المحيط الأطلسي. دب الفزع في قلوب سكان المدن الشاطئية على وجه الخصوص، الذين كانوا ينعمون بالأمن والأمان قبل أن يحل عليهم هؤلاء القراصنة .

أن أحوال الدولة الكارولنجية كانت سبباً أساسياً فيما أحرزه النورمان من انتصارات، فسجلنا في لمحة عابرة أنه منذ عهد لويس التقي، اندلعت العديد من الحروب بينه وبين أولاده، وبموته استمرت أكثر ضراوة بين ثلاثة ورثة أعداء، بينما الأحوال تطلبت وحدة الصف لمواجهة خطر ثان داخلي، تمثل في ثورة أدواق بروتانيو الخاضعين للسيادة الكارولنجية سعياً للاستقلال عمن من لا يقوى على الدفاع عن مملكته، ولم يكتفوا بذلك، بل استعانوا وتحالفوا مع العدو الخارجي. وبالتالي أصبحت مملكة فرنسا الغربية وملكها شارل الأصلع بين شقي الرحى.

لقد حدث تطور جديد في استراتيجية النورمان مفاده أنهم تحولوا إلى مرحلة "الاستيطان" بعد أن كانوا من قبل "ينبهون وينسحبون" خوفاً من قدوم فصل الشتاء، أي أن إغارتهم امتدت طوال فصول السنة الأربعة، فازدادت غنائمهم بكثرة. ومما شجعهم على ذلك، ارتفاع معنوياتهم نتيجة انتصاراتهم المتلاحقة.

Carolingians in the face of Norman invasions

(The fifth decade of the ninth century AD)

Since the final year of the eighth century AD, in 799 AD, the Carolingian kingdom had to face new invaders from Scandinavia, most of them from Denmark, and a few from Norway and Sweden.

The Normans provoked hatred ,vengeance, horror and destruction, and their hands stained with the blood of innocent people everywhere and went to their feet; all for the sake of quick and easy wealth (richness). As soon as they leave the Baltic Sea and sail in the North Sea and then the Sea of the Channel and the eastern Atlantic Ocean, the inhabitants of coastal cities in particular began to fear, who enjoyed security and safety before the pirates came to them.

The situation of the Carolingian state was a major reason for the victories of the Norman states. We have seen in passing that, since the time of Louis, many wars broke out between him and his children. His death continued to be fiercer among three heirs of enemies. The circumstances urged them to unite to face a second danger represented in the Revolution of the Protoño Proclaims under the Carolingian sovereignty in the pursuit of independence from those who were not able to defend his kingdom, and not only did so, but used and allied with the external enemy. Thus, the Kingdom of Western France and its King Charles became the baldest among the natives.

المقدمـــة:

بنهاية القرن الثامن الميلادي، وبالتحديد عام ٧٩٩م، أخذت جماعات من الغزاة تهاجم المملكة الكارولنجية وكان معظمهم من الدانمرك والقليل منهم من النرويج والسويد.[١]

فكان على شارل ملك دولة الفرنجة (٧٦٨-٨١٤م) مواجهة هذه الجماعات خاصة بعد أن وصل الى درجة كبيرة من القوة ساعدته فى الحصول على العديد من الانتصارات على الكثير من الشعوب الأوربية المجاورة له، كما انه تطلع لحصول على أكبر من لقب ملك، فلم يلبث أن توجته البابوية إمبراطورًا على الرومان فى ليلة عيد الميلاد عام ٨٠٠م .

تدارس العاهل الأوربي أسباب ذلك، ووجد أن سفنهم المسماه "دراكار Drakkar"[٢]، تتسم بالسرعة الفائقة وأن على متنها بحارة خبراء في فنون الحرب والقتال البحري، يقاتلون بشراسة، ويمارسون أعمال القرصنة البحرية. ولا هم لهم الا البحث عن الثراء السريع عن طريق

(١) اختلفت المصادر اللاتينية التي تتبعت غزوات النورمان على الإمبراطورية الكارولنجية، فى تسمية هؤلاء الغزاة، فحولية "فولدانسيس" اسمتهم "دانيين" إذ جاء في مستهل سردها لأحداث سنة ٨٤٦م أن: القراصنة الدانيين إنقضوا على فريزيا (Piratae Danorum Frisian Adeuntes) وانظر:

Annales Francorum Fuldenses.In RHGF., paris, 1869 Tome vll, P. 164.

وتحت احداث سنة ٨٤٧م، أوردت حولية برتان أن الدانيين هزموا البروتون أي سكان بروتانيو غرب فرنسا في ثلاث معارك، Dani Britones Ter Superant أنظر:

Annales Francorum Bertiniani, In RHGF.,Tome.vll, P. 64.

كذلك أطلق على هؤلاء الغزاة اسم "نورمان" أي "رجال الشمال"، وهو الأكثر شيوعاً، فعلى سبيل المثال جاء في حوليه "أعمال النورمان" تحت أحداث سنة ٨٤٧م أن النورمان بسطوا سيادتهم على فريزيا " Normanni Frisia Potiuntur

Ex: Chronico De Gestis Normannorum, InRHGE. Tome. Vi, P. 152

كذلك سجلت حوليه شقيق ريتشارد "أن النورمان انتشروا في ربوع اكتيانيا"، انظر:

- Normanni EX Chronico Fratis : Per Aquitaniam diffunduntur. Richardi, In RHGF, Tome. Vi, P. 258.

انظر كذلك المصادر التاريخية التي اطلقت على غزاة الشمال اسم نورمان:

Chronico Engolismensi, In RHGF, Tome. Vl,p. 222; Ex. Chronico Aquitanico, In RHGF, Tome vl., P. 223, Ex: Chronico Ademari Chabannensis, In RHGF, Tome. Vi, P. 226

وأحياناً أخرى أطلق عليهم مصطلح فيكنج (Vikings)، أما رجال الأكلير فقد اسموهم "بايان Paiens" أي عبدة الأوثان، أما المراجع الأجنبية الفرنسية منها والإنجليزية، فقد توزعت عناوينها بين النورمان والفيكنج، ويتضح ذلك بالإطلاع على قائمة المراجع الأجنبية.

(1) Alain Decaux,: L'Histoire De France Au Moyen Age, Paris, 2005, P.90

- عن هذه السفن الحربية أنظر شكل رقم (١).

القيام بأعمال السلب والتخريب، كما يتسمون باستخدام أسلوب المباغتة، ينقضون بغته على السكان الآمنين، وبالتالي يبثون الرعب والفزع في قلوبهم فيلوذون بالقرار، إفلاتاً من موت محقق على يد هؤلاء الغزاة، الذين يتسمون بالوحشية البالغة.

هكذا ألقن "شارلمان" أنه للانتصار على هؤلاء الغزاة لابد من إعداد أسطول قوى، يقضى به على قوتهم البحرية، علماً بأنه لم يفكر من قبل فى إنشاء أسطول بحرى لأنه اعتمد فى حروبه السابقة على قوة الفرسان الذين حققوا له الكثير من الانتصارات.

وعلى هذا النحو أدرك "شارلمان" أن الأخطار المحدقة بإمبراطوريته على يد هؤلاء الغزاة، تتطلب أن يحاربهم بنفس سلاحهم، من هذا المنطلق أصدر أوامره بإقامة ترسانات بحرية لتصنيع السفن والأسلحة الخاصة بالقتال البحري، وإعداد قوات بحرية وتدريبها خير تدريب، وتحصين وحراسة مداخل الأنهار والبحار، وإقامة القلاع والحصون، وأوكل كل هذه المهام ومتابعة إنجازها، إلي ابنه "لويس التقي (٨١٤– ٨٤٠م) "Louis Lepieux"؛[١] هادفًا من ذلك الحفاظ على إمبراطوريته المترامية الأطراف، الممتدة آنذاك من نهر الألب ALPES شرقاً حتى كتالونيا Catalogne غرباً[٢].

ومع ذلك؛ شهد العقد ونصف من أواخر عهده أي الفترة الممتدة من سنة ٧٩٩م إلي سنة ٨١٤م، العديد من المواجهات مع هؤلاء الغزاة؛ ولم يتمكن شارلمان من القضاء عليهم، كما قضى على غيرهم من قبل، ولم يكبح جماحهم أيضًا، وترك لخلفه "لويس التقي" تلك التركة الثقيلة الذي بدوره توفي في٢٠ يونيو ٨٤٠م، دون محوهم من الوجود، أو على الأقل تقليم أظافرهم وإنهاء غزواتهم.

وبذلك ترك لأولاده الثلاثة شارل الأصلع، ولويس، ولوثر مهمة مواجهة ذلك الخطر الكاسح الذي لا يكف عن محاولة غزو الإمبراطورية الكارولنجية.

---

(٢) Eginhard, Vita Karoli , CAP. XVLL, ED. Et trad. Louis Halphen , Paris, 1994, P. 51.

(٢) عن كتالوينا (CATALOGEN) انظر خريطة رقم (٤).

هذه لمحة عابرة شديدة الإيجاز عن الفترة السابقة لموضوع هذا البحث، لأننا وضعنا نصب أعيننا عنوان البحث وفترته الزمنية، وعدم الغوص في تفاصيل تبعدنا عن محاولات الدولة الكارولنجية في مجابهة الغزاة النورمان في الفترة من ٨٤٠ إلي ٨٥٠م.

لذا أشرنا بإيجاز إلي الأحداث السياسية حيث يتطلب الأمران ربطهما بغزوات النورمان التي ركزنا عليها وقد حرصنا على وضع عناوين جانبية حتى يمكن للقارئ الكريم من متابعة مجرى الأحداث بسهولة وانتباه.

- **انعكاسات الحرب الأهلية على الإمبراطورية الكارولنجية:**

على أية حال؛ بعد عام ٨٤٠م، ازدادت الحرب الأهلية اشتعالاً، وازداد الاقتتال بين "الإخوة الأعداء"، وكان لتلك المذابح التي أريقت فيها دماء الأبرياء من المشاركين فيها، نتائج وخيمة حتى عقبّ عليها المؤرخ المجهول المعاصر صاحب حولية "متز Metz"(١)، بالقول: "إن مذابح الفرنجة وضعت حداً للقوة العسكرية الفرنجية، حتى أصبحت غير قادرة على مواجهة هجمات النورمان والمسلمين"(٢).

---

(١) عن متز انظر شكل (٤)

Annales Francorum, In Recueil Des Mistoriens Des Gaules et De La France ،
Paris, 1869, Tome. VLL. P. 184. =

= وسنختصر هذا المصدر الهام ليصبح .RHGF دائرة معارف كاملة متكاملة عن تاريخ بلاد الغال وفرنسا في العصور الوسطى، ويقع في ٢٤ من المجلدات بصفحاته الكبيرة، وكل جزء يقع فيما يزيد عن ٧٠٠ صفحة لم يكتف "دون بوكيه Don Bouquet" ناشره بالمصادر اللاتينية، بل أضاف إليه على سبيل المثال: مصادر بيزنطية متعلقة بالملك او الإمبراطور الذي يتحدث عنه الجزء وهذه المجموعة تضيف الجديد إلي المشتغلين في أبحاث تتعلق بتاريخ وحضارة تلك الفترة والباحثين لا يتعدون على أصابع اليد الواحدة، اطلعوا عليها رغم أهمية مصادر هي التي تعدد دائرة المعارف.

ونرى أن هذه الحرب الأهلية التي استمرت ما يقرب من أربع عشرة سنة، والتي انتهت بتوقيع معاهدة فردان (Verdun) سنة ٨٤٣م، كانت لها انعكاسات وخيمة على الإمبراطورية الكارولنجية التي أقامها شارلمان (٧٦٨ – ٨١٤م) بعد حروب ضارية، وقد نتج عنها، أن كافة الدفاعات والاستحكامات التى أقامها شارلمان عند مصبات الأنهار، والتي صنعها في الترسانات البحرية، وكافة وسائل التأمين التي اتخذها للدفاع عن الشواطئ قد أهملت إهمالاً تامًا، كما أن النظم الإدارية قد انتابها الفوضى العارمة خلال حكم (لويس التقي ٨١٤ – ٨٤٠) "Louis Le Pieux" وعلى وجه الخصوص طوال الحرب الأهلية.

هذه الدفاعات كان هدفها فقط تأمين حالة الرخاء للمواطنين، لأن النورمان كان همهم الأوحد – في المرحلة الأولى من هجماتهم– القيام بأعمال السلب والنهب بحثاً عن الثراء السريع. وحتى ذلك الوقت لم يفكروا على الإطلاق ولم يكن في مخططهم غزو الأراضي المهاجمة وإخضاعها لسيادتهم، إلا أن المتكالبين على العرش – أي أحفاد شارلمان– فضلوا آنذاك تعريض الإمبراطورية الكارولنجية إلي كافة مآسي الحرب الداخلية منها والخارجية، بدلاً من حماية ربوعها المترامية الأطراف، وكذا حماية أمنها.

وهكذا؛ فإن أبناء لويس التقي تركوا رعاياهم يعانون الأمرين من أعمال السلب والقتل والتدمير التي ارتكبها القراصنة النورمان – كما سيعرض في الصفحات التالية – وسبب ذلك:

أن اهتمامهم الأوحد، تعبئة مقاتليهم لقتال الشقيق العدو، وحتى بعد إبرام معاهدات "فردان(١)" (Verdun) سنة ٨٤٣م(٢)، فإن شارك الأصلع ٨٤٠ – ٨٧٧م CharleS Le Chauv لم يهتم إلا بقتال ببين الثاني ٨٦٤م Pepin II ابن شقيقه ببين الأول ٨٣٨م.

(١) عن مدينة "فردان" (Verdon) انظر خريطة رقم ٤.

(٢) عن هذه المعاهدة: انظر/ فيما بعد أحداث سنة ٨٤٣.

هذا بينما كان النورمان يزدادون جشعاً في جمع الأسلاب والغنائم، فشجعوا أكثر فأكثر لأنهم لم يجدوا من يكبح جماحهم ويضع حداً لأطماعهم، ونتيجة لذلك انخرط في صفوفهم كل باحث عن الثراء حتى لو كان يمارس التجارة فيما مضى. لكونها لا تدر إلا الربح القليل والبطيء، وبالتالي كثر أعداد هؤلاء القراصنة، بينما ازدادت الإمبراطورية الكارولنجية ضعفاً بعد تمزقها في أغسطس ٨٤٣م إلي ثلاث مماليك متنافرة هي فرنسا وإيطاليا وألمانيا.

وكان من الطبيعي في ظل الأحوال المتردية التي تعيشها الإمبراطورية الكارولنجية في أوائل عام ٨٤٠م، أن يطمح الأعداء النورمان – التي تفتحت عيونهم على ثرواتها – لاجتياحها. فمنذ ذلك العام؛ اضطربت أمواج بحر الشمال وبحر المانش خاصة وشرقي المحيط الأطلسي عامة بفعل أغارات النورمان – أي الدانيين سكان الدانمرك – فقبل أن يلفظ الإمبراطور لويس التقي أنفاسه الأخيرة، سجلت "حولية أعمال النورمان" Chronic De Gestis Normanoru أن النورمان انقضوا على فريزيا Frise فأزعجوا بشدة مملكة الفرنجة (١).

هكذا كانت هذه الحملة كفاتحه لحملات متتالية طوال الفترة موضوع البحث، وفاتحة لحملاتهم التي واجهها لويس التقي، تاركاً لأولاده تلك التركة الثقيلة التي ستمزق إمبراطوريتهم.

وقد تناولنا في بحثنا هذا الفترة الممتدة من سنة ٨٤٠م إلي سنة ٨٥٠م أي فترة عقد من الزمن ابتعدنا عن الفترة السابقة لها مباشرة أي المدة ٧٣٩م إلي ٧٩٩، لكونها بُحثت من قبل.

ولقد تميزت هذه الفترة –موضوع البحث– بتوالي هجمات النورمان على الإمبراطورية الكارولنجية مع عدم الاستيطان على أراضيها، حتى في الحملة التي بني فيها النورمان منازلاً من الصلصال _كما سنرى _لمواجهة شراسة طقس فصل الشتاء، إلا أن النورمان آنذاك سرعان ما عادوا ثانية إلي أوطانهم.

---

(٣) Cgronic De Gestis Normannorum, In, RHGF., Tome. VII. P. 152.

والجديد؛ الذي تميزت به تلك الفترة، هو موافقة النورمان على الرحيل مقابل فدية متفق عليها –وذلك لأول مرة– كان ذلك سنة ٨٤٥م، ووصلت تلك الفدية رقماً خياليًا حين وافق شارل الأصلع على دفع مبلغ سبعة آلاف جنيه من الفضة –كما سنرى – أي ما يساوي ثلاثة أطنان[١]، مقابل الرحيل عن أراضيه.

وتساءلت الباحثة لماذا الفضة دون الذهب؟

وبعد جهد أورد الباحث أندريه شيدوفيل Andre Chedeville في كتابه المعنون فرنسا في العصور الوسطى La France Au Moyen Age أنه في مستهل النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي، اختفت العملات الأجنبية الذهبية في أوروبا، وكانت العملات المتداولة آنذاك هي الدونيية الفضي LE Dnier D'Argent والسو الفضي LE D' Argnt Sou والجنيه الفضي LE LivrE D'Arrgent، لذا دفع شارل الأصلع سبعة آلاف من الفضة لإجلاء الغزاة النورمان من أراضيه، كما جاء أعلاه.[٢].

- **النورمان يهاجمون مدينة Rouen عام ٨٤١م، والقائد فولفرد يكرههم على الانسحاب:**

ولقد بدأت أولى حملات النورمان على الإمبراطورية الكارولنجية بعد وفاة الإمبراطور لويس التقي(٨١٤–٨٤٠) في ٢٠ يونيه ٨٤٠م[٢]، بحملة أدرجت تحت أحداث ١٤ مايو ٨٤١م.

فقد أوردت "حوليه فونتا نللنسيChronique Fontanellense" أن شخصاً يدعى الدوق أوشيروس Oscherus قاد النورمان Normanni نحو "مملكة الفرنجة Franciam" فأبحروا في نهر السين[٣]، "Seine" إلى أن وصلوا مدينة Rouen[١]،

---

(١) RNT, N.,: Les Vikinhgs, (Paris, **1998**, P.14)

(٢) Hedeville, A: LA France Au Moyen Age, Paris **1964**, P. 2**8**.

(٣) Chronique De Saint Denys, in Recueil des Historiens des gaules et de la france, paris, **1968,** Tome. VI, P. **16**,

(١) Ex Chronico Historiae Franciae, in R. H. G. F.,Tome. VII, P. 224, De Carolo Calvo, In R. H. G. F., VII, P. 340

فأقدم هؤلاء الغزاة على القيام بأعمال السلب والنهب والتدمير، وأحرقوها وحولوها إلي رماد، كما قتلوا أسقفها وأسروا رهبان وقساوسة الأديرة والكنائس، كذلك سلبوا ودمروا الأماكن المجاورة لنهر السين، وأقاموا مذبحة للسكان الآمنين[٢].

وفي ٢٤ مايو من نفس العام، هاجموا "ديرجوميج Jumieges" وكعادتهم العدوانيه نهبوا محتوياته الثمينة، وأضرموا فيه النار فتحول إلي رماد هو أيضًا، كما لم يسلم من آذاهم "دير سان فندريي Saint Vandrille"[٣].

وفي اليوم التالي – أي في ٢٥ مايو – اقترب الغزاة من "ديرفونتونيل Fontenelle" وخوفاً من بطش هؤلاء القراصنة، وحفاظاً على مقدساتهم، سارع رهبان الدير بلقائهم، وتوصلوا معاً على إبرام اتفاقية سلام يتم بموجبها استثناء الدير من أعمال السلب والنهب والتدمير مقابل مبلغ ستة جنيهات من الفضة[٤].

وفي ٢٨ مايو استقبل النورمان وفدًا ضم رهباناً برئاسة هلدوين ; Hildiun رئيس دير القديس دونيه Saint – Denis، القائم بالقرب من العاصمة الفرنسية باريس ليتفاوضوا بدورهم من اجل سلامتهم، وحفاظا على ديرهم من الخراب والدمار والسرقة والنهب، فنجحوا في اطلاق سراح ثمانية وستين أسيرا مقابل مبلغ ستة وعشرين جنيها من الفضة.

ونتيجة لتلك الانتصارات المتلاحقة شعر شارل الأصلع (٨٤٠ – ٨٧٧م) Le Charles Chauve بأنه أمام خطر كاسح لذا كلف أحد المقربين إليه من كبار افصاله ويدعى "فولفرد" Vulfard بتعبئة جيش ضم بعض كبار رجال الإقطاع، كما انضم إليه الكثير من سكان المدن المجاورة والأرياف وتذكر المصادر أن الجميع كان

---

(٢) Fragmentum Chronici Fontanellensis, Auctore. Monacho Fontanel, iN R.H.G. F, Tome. VII, p. 40; ExChronico De Gestis Normannorum, in RHGF.,Tome. VII, p. 152.

وعند مدينة "رووان" Rouen انظر: خريطة رقم (٤).

(٣) Annales Francorum Bertiniani, iN R.H.G. F,Tome.VII, p. 54; Ex Chronic De Gestis Normanorum, p. 152…

(٤) Ex Appendice Secunola AD Chronicum Fotanellense, iN R.H.G. F, Tome.VII, p. 231; De Carolo Cavo,In R.H.G. F,Tome.VII, p. 340.

(٥) Fragmentum Chronici Fontanellensis, p. 40.

يقاتل بضراوة من أجل البقاء على قيد الحياة كما تسجل أيضا الموقف السلبي لرجال الاكليروس، أي رجال الدين المسيحي[١].

هكذا نرى أن الرهبان الذين امتلكوا الجزء من الأراضي، لم يفكروا إلا في حيلة دون وقوع رفات القديسين في أيدي النورمان الكفرة الوثنيين من وجهة نظرهم وبدلا من مواجهة الغزاة لحماية رعاياهم، فقد لاذوا بالفرار حاملين مقدساتهم، وساروا مسافة ثلاثة فراسخ[٢]، من الشواطئ حفاظاً على حياتهم.

هذا بينما واجه جيش "فولفرد" Vulfard هذا الغزو الكاسح (مغول العصر) بشجاعة بالغة حتى تمكن في٣١ مايو سنة ٨٤١م على إجبار"أوشيروس Oscherus – وأتباعه من القراصنة– على الانسحاب، فأبحروا إلى مواطنهم مصطحبين معهم الأسرى الذين سيتحولون إلى عبيد ويتم بيعهم في أسواق النخاسة، كما حملت سفنهم منهوباتهم من الأشياء الثمينة من ذهب وفضة. وهكذا عادت حملة النورمان غانمة سالمة إلى بلادها، وبالتالي تشجع هؤلاء الغزاة على إعادة الكرة بحثها عن مزيد من الثراء[٣].

وأخيرًا، اختتم النورمان غزوات سنة ٨٤١م بحملة على حدود مملكة الفرنجة نستريا Neustrie.

هكذا تمكن هذا القائد الجسور "فولفرد" من الصمود في وجه الغزاة، وإكراههم على الانسحاب، ولا يفوتنا ذكر مساعدة سكان تلك المواضع وانخراطهم في الأعمال القتالية، بينما كان

---

(١) Fontanellense, P. 40, A. Francorum Bertiniani, P.59, CHR. De Gestis Normanorum, p. 152

(٢) الفرسخ أربعة كيلومترات تقريبا: انظر:
Hachette, Le Dictionnire De Notre Temps, Paris, **1990** ’ p**. 884**

(٣) Appendice Secunda Ad Chronicum Fontanellense, p.231, Translatio Corporis Beati Audoeni, P. 372
Chronico Namnetensi In RHGF.Tome.vii ’,: وقد جاء فى هذة الحوليه
"Normanni Oras Franciae Et Neustriae Depraedantur"
وعن" نستريا" Neustrie انظر خريطة رقم (٣)

رجال الاكليروس يبحثون عن الحفاظ على حياتهم ورفات قديسيهم مقابل دفع فدية للغزاة، كما سبقهم في هذا رهبان القديس دونيه، أما بعض الأديرة، فقد طالها الدمار والنهب وأسر وقتل رهبانها.

- **هجوم النورمان على كوينتوفيك سنة ٨٤٢م:**

هكذا تشجع النورمان على معاودة اجتياح أراضي الإمبراطورية الكاروليجية، بعد الكم الهائل من الغنائم التي ظفروا بها من ذهب وفضة وأحجار كريمة وعبيد، وكل ما خف حمله وغلا ثمنه، ومن المنطقي ان أسالت هذه الغنائم لعاب كل باحث عن الثراء السريع، وبالتالي ازداد عدد المنخرطين في صفوف هؤلاء القراصنة.، وبناء على ذلك، قام النورمان بحملة جديدة على تلك الإمبراطورية الممزقة داخليا نتيجة اقتتال الأخوة على الكعكة الكبيرة التي تركها لهم عملاق أوروبا جدهم شارلمان كل هذا التناحر هلكهم وأضعف إمبراطوريتهم بينما العدو على أبوابها وعلى أتم الاستعداد لغزوها.

على أية حال أبحرت سفن النورمان السريعة المسماة دراكار Drakkar في نهر السين(١). Seine كما حدث في الحملة السابقة على مدينة رووان Rouen ونجح الغزاة في إنزال مقاتليهم على شواطئ موريني Morinie، وفي السادس من ديسمبر من سنة ٨٤٢م ومع بزوغ البشائر الأولى لفجر هذا اليوم اجتاح مقاتلوا النورمان ميناء كوينتوفيك(٢) Quentovic الواقعة في أقصى غرب نهر السين Seine.

ولم تتمكن هذه المدينة البائسة من الصمود في وجه هؤلاء الغزاة المتعطشين لسفك الدماء، فراح الكثير من سكانها ضحية سيوفهم، أما البعض الآخر، فقد تم حشدهم في السفن باعتبارهم أسرى حرب، وسيتم بيعهم فيما بعد في أسواق النخاسة، إلا أن أثرياء مدينة كوينتوفيك Quentovic اجمعوا على دفع فدية طائلة حفاظا على أرواحهم وممتلكاتهم.

(١) عن نهر السين Seine انظر خريطة رقم (١) وعن ثلاثة أشكال من الدراكار انظر شكل رقم ( )
(٢) عن مدينة كوينتوفيك Quentovic انظر خريطة رقم (٤)

وبعد أن أقدم النورمان على سلب ونهب وتدمير هذه المدينة البائسة واصلوا اعمال السلب والنهب والتدمير حتى اقتربوا من مدينة ارراس(١) Arras وبعدها أبحروا في اتجاه انجلترا للإغارة عليها هي أيضا.(٢)

والجدير بالذكر أن حولية فونتانللنسس Fontanellensis قد أدرجت الحملة على كونيتوفيك Quentovic تحت أحدث سنة ٨٤٤م مع ملاحظة اختصارها للأحداث إذ جاء في هذا المصدر:

"Quentowici Cladem in An– 844" أي ان النورمان قاموا بتدمير كوينتوفيك"(٣).

- **الكارولنجيون بين عدوين: البروتون والنورمان:**

ومن الملاحظ أن الغزاة النورمان غيروا اتجاه حملة سنة ٨٤٣، إذ ابتعدوا عن الإبحار في نهر السين Seine كما حدث في حملاتهم السابقة؛ لأنهم أتوا على الكثير من مدن ولا جدوى من إعادة مهاجمتها، لذلك هاجموا أراضي جديدة فكانت ضحيتهم هذه المرة "تغر بروتانيو" المسمى في المراجع العربية "بريتاني" بدلاً من بروتانيو Marche De Bretagne وتقع شبه جزيرة بروتانيو "غربي مملكة شارل وتقتطع مائتي كم من المحيط الأطلسي، وقد اسماها برنادرد كوستا Costa بأنها "شرفة على المحيط الاطلسي" وكان سكانها يجنحون على الدوام إلى الاستقلال(٤)، وبروتانيو هذه

(١) ارراس Arras احدى مدن "با – دو – كاليه " Pas- De – Calais خضعت تحت سيادة كونتات فلاندر Flaindre حتى القرن الثاني عشر الميلادي وكانت طوال العصور الوسطى مركزا تجاريا وصناعيا هاما واشتهرت بصناعة السجاد والمنسوجات وبسبب موقعها الاستراتيجي الهام، عانت الامرين من ويلات الحربين العالميتين الاولى والثانية للتفاصيل انظر:
Fauvl, J- J-, France, Paris, 1995, P. 703, 704, Hachette, Dictionnaire De notre Temps, Paris, 1990, P. 84 – 85, AR2, C., a France "Mysterieuse, Paris, 2001, P. 10-11

(٢) A. Francorum Bertiniani, p. 61

(٣) CH., Fontanellense, P.41

(1) Costa, B., Le. Grand Livre De La France, Paris, **1997**, P. **88**

التي كانت تسمى "أرموريك" Armorique لم يتمكن الغزاة الجرمان في القرن الخامس الميلادي من غزوها[١]. ومع ذلك، فقد هاجر إليها من لاذ بالفرار من انجلترا أثناء الغزو "الانجلو – سكسوني" وفي القرن التاسع الميلادي، كان البروتون الأصليون يشغلون الجزء الغربي من شبه جزيرة الأرموريك، أما الجزء الباقي، فكان يشغله الغزاة، "الفرنجة" Les France وكان قبل ذلك يخضع للامبراطورية الرومانية[٢].

وفي سنة ٧٥٣م شن ببين القصير "(٧٥١– ٧٦٨م) Pépin Lé Bref مؤسس الأسرة الكارولنجية (٧٥١– ٩٨٧ هـ)، وأول ملوكها حملة على "أرموريك" Armorique وكان سبب حملته تلك، استعادة مدينة "فان" Vannes التي سقطت في ايدي "البروتون Breton – أي سكان بريتاني – من ناحية، وحماية أراضي الدولة الكارولنجية من ناحية أخرى[٣].

وتحقيقا لتلك الغاية، أسس ببين القصير "ثغر بروتانيو " Le Marche de Bretagne حتى يكون قاعدة عسكرية حدودية، وقد ضم أكبر ثلاث مدن وهي ران Rennes، فان Vannes ونانت [٤] Nantes وغيرها من المدن الصغيرة [٥] وعين "رولان Roland الذي سيلقى حتفه فيما بعد سنة ٧٧٨م في معركة رونسفو Roncevaux [٦] قائدًا عامًا لهذا الثغر.

---

(2) Chardronnet, J.,: Histoire De Breta Gne, Paris, **1980**, P. **24**.

(3)Chardronnet,: Historie Debretagne, P. 30

(٤) Chardronnet: Histoire De Bretagne, P.35

(٤) وعن مدن بروتانيو الثلاث: ران Rennes وفان Van ونانت Nantes انظر خريطتي رقم (٢، ٣)

(٥) وأضيف فيما بعد إلى المدن الثلاث سالفة الذكر مدينة "أنجيه" "Angeis" وأحياناً "أفرنشان" "Avranchin" انظر Monnier, J.J. Et Cassard, J.C Toute Histoire De Bretagne, Bretagn, 2012, p. 121 (HAR) Ronnet, J., Histoire De Bretagne, Paris, 1980, p. 38.

(٦) عن "رنسوفو" Roncevaux انظر خريطة رقم (٤).

وعندما تولى شارلمان العرش أبقى على "رولان" إلى أن توفي في المعركة سالفة الذكر، وقد انتهز البروتون مرحلة ضعف الإمبراطورية فى عهد لويس التقي ليعلنوا الثورة الاستقلالية من حين لآخر، لذا اضطروا_ لكي يركنوا إلى السكينة_ إلى تعيين قائدهم الطموح "نومينويه " Nominoé دوقا على مدينة فان Vannes بعد أن أدى له يمين الولاء والتبعية، وقد ظل مخلصا لسيده لويس التقي طوال حياته (١).

والجدير بالذكر أنه منذ عام ٨٢٢م، نجح "نومينويه" في إنشاء دوقية تتمتع بحكم ذاتي ساعياً على توسيع حدودها سعيًا حثيثا في اتجاه الشرق على حساب الإمبراطورية الكارلونجية وتلونت سياسته وفق مصالحه، فتارة يناصر الفرنجة، وتارة أخرى يرتمي في أحضان الانجليز، كما كان يحث النورمان على غزو مملكة الفرنجة عهد شارل الأصلع ضارباً بعرض الحائط يمين الولاء والتبعية الذي اقسم عليه(٢)، وفي نهاية مطافه مات مسموماً أو بسكتة دماغية(٣).

- **زيارة شارل الأصلع لبروتانيو وعواقبها.**

والجدير بالذكر أنه منذ عام ٨٢٢م، نجح "نومينويه" في إنشاء دوقية تتمتع بحكم ذاتي ساعيًا على توسيع حدودها سياسيًا حثيثا في اتجاه الشرق على حساب الامبراطورية الكارولنجية، وتلونت سياسته وفق مصالحه، فتارة يناصر الفرنجة، وتارة أخرى يرتمي في أحضان الانجليز، كما كان يحث النورمان عل غزو مملكة الفرنجة

---

(٤) Monnier, Cassard., Toute L' Histoire De Bretange, p. 122; Lemonrel, A., Novelle Histoire De La Normandie Toulouse, 2004, p. **85**

(١)Brochard, Ph., Atlas Histrique Du Moyen Age, Paris, 1986, p. 60, Chardronnet, J., Histoire De Bretange, Paris, 1980, p. 41- 42.

(2) Charonico Engolismensi, p. 222, Ex Chronico Aquitanico, p. 223; Ex Chronico Histroie Francia; Ex Chronico Ademari Chabannesis, p. 225; Ex Chronico Andegavensi, p. **237**.

في عهد شارل الأصلع ضارباً بعرض الحائط يمين الولاء والتبعية الذي أقسم عليها(١)، وفي نهاية مطافه مات مسموماً أو بسكتة دماغية(٢).

هذا وقد سجلت المصادر تحت أحداث يونية سنة ٨٤٣.م أن أعلن شارل الأصلع زار ولأول مرة "بروتانيو" Bretagive وكان أدواق بلدانها الثلاث يناصرون شقيقه وغريمه لوثرا Lothaire، ولكن نتيجة تلك الزيارة ثار البروتون على أذواقهم، وأعلنوا خضوعهم لشارل(٣).

عقب تلك الزيارة ثار "نورمينويه" بتحريض من دوق "ثان" آنذاك من لمبير Lambert دوق "نانت" الذي عين شارل بدلاً منه حليفه الدوق "رينو" Rainaud الذي كان من قبل دوقاً على "بوانتوفان" Pohntrhn وكان قد سبق له أن ألحق شر الهزائم بالنورمان حين أغاروا على جزيرة نورموتييه سنة ٨٣٥م(٤)، هذا وقد اتفق الدوقان الثائر أن على قيام نومينويه بإعداد حملة لغزو "نانت" فما كان من "رينو" أن عبأ مقاتلين من نانت وبوانتوفان والتقى بجيش نومينويه وألحق به هزيمة ساحقة(٥).

---

(1) Brochrd ph; Atlas historique du moyen Age, Paris. 1986, p. 60, (Hardonivet, j, histoire de Bretagne, Paris **1980**, p. 41-42).

(٢) توفي "نومينويه" في ٣ يوليو سنة ٨٥١م، انظر: (Hardronnet, p.41) وقيل أن وفاته أنعم عليه البروتون بلقب "أبو الوطن"، انظر Hardronnet, p. 43

(٣) Chronico. Engolismensi, p. 222; Ex.

- Chronico Aquitanico, p. 223; Ex Chronico, Historie Franciae; Ex Chronico Ademari, Chabannensis, p. 225; Ex Chronico Andegavensi p. **237**.

(٤) Lair, j, Les Normands Dans L' île D'Oscelle, Paris, 1897, p. 106
وعن "بوانتوفان" Pointevin انظر خريطة رقم (٣).

(٥) Ex Historia eversionis monasteris

- Florentil veteris, p. 56; epistolae lupi, Ferrariensis abbatis, p. 504. Cf. Renaud, j., les vikingset les celtes, rennes, 1994. P. 121. Albert d'haenens, les invasions normandes, une catastrophe? Paris, 1970, p. 50.

وكان لمبير آنذاك قد تغيب عن تلك المواجهة وعندما علم بهزيمة "نورمينويه" أسرع بتعبئة مقاتلين من مواضع متفرقة من بروتانيو، وهاجم رينو ومقاتليه في قرية "بلنج" Blaing فراحوا ضحية سيوفه ومان على رأسهم الدوق رينو(١).

- **لمبير يحرض النورمان على غزو نانت:**

والأهم من هذا أن "لمبير"، بعد المذبحة التي أقامها لرينو ومناصريه، حرض النورمان على غزو مدينة نانت الثائرة عليه(٢).

وهكذا أصبحت "غربي فرنسا" Francia Occidentalis وملكها شارل الأصلع بين السندان والطرقة إذ كان عليها مواجهة عدوين في آن واحد: الأول داخلي، ويتمثل في أدواق بروتانيو، ذلك الثغر الملاصق لمملكته، والواقع غربها على المحيط الأطلسي، أما الثاني: فهو خارجي، ويتمثل في القراصنة النورمان الذين لا هم لهم إلا السلب والنهب والدمار والأسر بحثاً عن مزيد من الثراء، وتأكدوا من الانتصار بسبب ما سيلقونه من مساعدة من الأدواق البروتون.

- **حملة النورمان على نانت سنة ٨٤٣م و عواقبها:**

وعما يذكر أنه في مختلف غزوات النورمان سالفة الذكر، لم يحاول لغزاة النورمان الإبحار في نهر اللوار Loire منذ سنة ٧٩٩م، إلا أنه في تلك الغزوة انطلق أسطول يتكون من ثلاث وستين سفينة أبحر في هذا النهر في الرابع والعشرين من يونيو سنة ٨٤٣م، أي يوم الاحتفال بعيد القديس يوحنا لمعمدان وكان سوق يعج بالناس أقيم بتلك المناسبة الدينية إذ بالقراصنة النورمان انقضوا على نانت Nantes

---

(1) Fragmentum chronic fontanellensis, p. 40.
- Annales francorum bertiniani, p. 62;. Ex Chronico admari chabannensis, p. 225.

(2) Ex chronico andegovensi, p. 237; epistolae lynch, j.m. Lupi ferrariensis abbatis, p. 480. Cf/ les Vikings, Des ecumeurs venus du nord, Paris, 1994, p. 57. Renaud, j. Les vikings et les celtes, p. 121.

بغتة، وكان لمدينة غير محصنة، فأراقوا دماء قاطنيها وأسروا جموعاً لا تحصى كما ذبحوا أسقفها ويدعى جونهارد Gunhard في كاتدرائيته وهو أسفل المذبح حيث كان يقيم صلاة هذا الاحتفال لديني ولم يفلت من المذبحة التي أقاموها القساوسة والشمامسة وكبار النبلاء الذين كانوا بلا أسلحة، ولم يكتفوا بذلك بل دمروا القرى المجاورة، وأتوا على قصور ثلاثة من كبار الكونتات[١]، وكان النورمان أول غزاة وطأت أقدامهم شواطئ نهر اللوار منذ أكثر من أربعة عقود بعد اجتيازهم له في أمن وأمان بفضل مساعدة الأدواق الثائرين على سيدهم شارل.

وبعد تلك المذابح الدموية والغنائم الطائلة، حملوا سفنهم بجموع لا تحصى من الأسرى لبيعهم في أسواق النخاسة، وكذلك الكم الهائل من الذهب والفضة ومسروقات ثمينة أخرى ثم اتجهت سفنهم نحو جزيرة نوراموتييه Noirmoutier وذلك في ٣٠ سبتمبر سنة ٨٤٣م وهي جزيرة في المحيط الأطلسي مواجهة لمدينة نانت من ناحية الغرب وقبل وصولهم إلى تلك الجزيرة هاجموا مديرة رتز Retz وقلبوها رأسًا على عقب.

وقد انبهروا بجزيرة نوراموتييه لأنها تمتع بكل ما لذ وطاب ففي تلك الجزيرة وجدوا الأمن والأمان، إذا لم يجدوا أي مقاومة أو مواجهة كما أنها كانت مركزًا تجاريًا هامًا لتجارة الملح وعلى وجه الخصوص وجدوا بها أجود أنواع النبيذ الذي يشتهونه[٢].

- **النورمان يمهدون للاستيطان في جزيرة نوارموتييه:**

---

(١) للتفاصيل انظر:

- Miracula S. Martini Abbatis, Vertavensis, in mabillon acta sanctorum, OSB., Secula, I, p. **688**. Ch. Fontanellensis, p. **41**,. Ex libro. Monasterii s. wandregsili, p. **44**; Ex chronico braitannico, p. **121**; Ex chronico ademari chabannensis, p. **225**; Ex chronico S. Maxentii, p. **228**; Ex ch. Andegavensi, p. **237**; ex ch. Virdsnensi auctore hugone flaviniac. Abbate, p. 246; ex chr. Sitmiensi, auctore johanne iperio, **p267**; ex diversis chronisis, p. 271.
- **وعن نانت Nanet انظر خرائط رقم ٢، ٣، ٤.**

(2) Francorum Bertiniani, P. **61**.

والجدير بالتسجيل أن حولية القديس برنان Annales Francorum Bertiniani تلك لحرية الهامة التي أكملت حوليات مملكة الفرنجة Annales Regni Francorum والتي غطت الفترة الزمنية ن سنة ٨٣٠ حتى سنة ٨٨٢م، زودتنا تلك الحولية بمعلومة بالغة الأهمية مفادها أن القراصنة النورمان، عند وصولهم إلى إحدى الجزر التي لم تذكر اسمها، والتي حددتها بقية المصادر بأنها جزيرة نوارموتييه، جلبوا صلصالا من تلك الجزيرة وبذلك بنوا العديد من المساكن[١] ليمضوا فيها طوال فصل الشتاء على وجه الخصوص وبقية فصول السنة على وجه العموم، وحتى تكون قاعدة عسكرية لانطلاقهم بسهولة على أراضي الإمبراطورية الكارولنجية، والانطلاق منها في غزوات جديدة والهيمنة على بلدان نهري اللوار والجارون Garonne[٢].

هكذا نرى أن سنة ٨٤٣م تعد سنة بالغة الأهمية في تقييم حملات النورمان على الأراضي الكارولنجية، إذ نستخلص من حولية سان برتان Saint – Bertin سالفة الذكر، أن النورمان –ولأول مرة– أمضوا فصل الشتاء على أرض الفرنجة وتأكد لنا ذلك أنهم استخدموا صلصلاً متوفراً بكثرة في جزيرة نوارموتييه لبناء منازل من طوب الصلصال يحتموا فيها من شراسة البرد وقسوته في تلك المنطقة ولما لا "فالحاجة تولد الاختراع".

كما لم تذكر المصادر –رغم حلول فصل الشتاء سنة ٨٤٣م أنهم غادروا تلك لجزيرة لتي اسمها حولية سن برتان بإحدى الجزر بينما أوردت اسمها مصادر أخرى، هذا وقد اعتاد النورمان فيما مضى على شن حملاتهم في فصلي الربيع والصيف وحين يحل فصلا الخريف والشتاء على وجه الخصوص، يعودون ثانية إلى مواطنهم الأصلية.

---

(١) عن جزيرة "نواموتييه" Noirmoutier انظر: خريطة رقم (٣).

(٢) عن هذين النهرين انظر خريطة رقم (١) عن أنهار فرنسا.

والأهم من هذا، فإن هذه الحملة تعد تطورًا جديدًا طرأ على المراحل التي مرت بها غزوات النورمان، فقبل هذه السنة بما يزيد على قرن من الزمان مارس النورمان التجارة، فصنعوا سفناً لنقل تجارتهم تسمى كنور(١) Knoor، ومع مضي الزمن وجدوا أن مهنة التجارة تدر عليهم الربح البطيء والقليل أيضاً، لذا تخلوا عن ممارستها، وبالتالي تحولوا من تجار إلى قراصنة بحر هدفهم من هذا التحول الثراء السريع الذي سيتحقق من أعمال السلب والنهب والتدمير(٢)، وأسر السكان الآمنة وبيعهم في أسواق النخاسة، ونهب الأديرة والكنائس وتخويف الأثرياء لإكراههم على دفع فدية ليظلوا على قيد الحياة والتنقيب عن ما خف حمله وغلا ثمنه من ذهب وفضة وأحجار كريمة وجنوا من كل هذه الأعمال الإجرامية أموالاً طائلة وساعدهم على تحقيق تلك الأطماع فيما بعد وقد جعلوا جزيرة نوارموتييه(٣) Noirmoutier أول قاعدة عسكرية تنطلق منها في سان فلوران –لو– فيي(٤) Saint– Florent– le– Vieil.

---

(١) Jean Renaud, les Vikings et les celres rannes, 1992, p. 121; Steenstrup, J, les innasions Normandes en France, Paris, 1969, P. 130.

وعن شكل السفينة التجارية المسماة كنور Knoor وهي أكثر اتساعاً من السفن الحربية المسماة دراكار، انظر: Gibson, M., les Vikings, Paris, 1977, p. 32

وعن السفن المسماة دراكار Drakkarrs يانظر شكل رقم (١) وكذلك Gibson p. 33 وعن طريقة صناعتها انظر:Gibson p. 32 هذا وقد زودنا نييل جرانت Neil Grant بأشكال متعددة من كل نوع من سفن لفيكنج أي النورمان كانت أكثر توضيحاً مما أورد ميكايل جبسون Mikael Gibson انظر Grant, N., les Vikings, Paris, 1998, p. 12-13,16-**17,22-23,26-27.**

(٢) عن السفينة التجارية المسماة كنور Knorr انظر شكل رقم (٢) وعن وصفها وأهميتها انظر أواخر صفحات البحث.

(٣) تقع جزيرة نوارموتييه Noirmoutier في مواجهة مدينة نانت يفصلها عنها مياه المحيط الأطلسي ويبلغ طولها حوالي ١٩ كم وعرضها حوالي ٧ كم للتفاصيل انظر: Monmarche',f., La France, Paris, 1995, p. 852-853.
انظر أيضاً خريطة رقم (٣).

(٤) تقع سان فلوران –لو- فيي Saint- Florent- le- Vieil في أعالي نهر اللوار La Loire، للتفصيل انظر: Monmarche, p. 658.

من هاتين القاعدتين العسكريتين تمكن النورمان فيما بعد من رصد أحوال البلدان المطلة على نهر اللوار La Loire والجارون Garonne بل وكافة لبلدان لمطلة جنوب غرب مملكة الفرنجة، ومع ذلك لم يفتهم –كما سنرى– أن يجددوا الظهور مرة ثانية عند مصب نهر السين La Seine.

- **هجوم النورمان على بوردو وسانت سنة ٨٤٣م:**

تنفيذاً لتلك الخطط العسكرية الجديدة انطلقوا من قاعدتهم العسكرية نوارموتييه للإغارة على مدينتي بوردر[١] Bordeaux وسانت[٢] Saintes فسقطتا في أيديهم، وعند انسحابهم لم تتسع سفنهم للسرقات والمنهوبات الطائلة التي فاقت الخيال حتى يجروا إلى مواطنهم الأصلية كما لم يجدوا مكاناً للأسرى، فاضطروا لإطلاق سراحهم لكونهم أقل قيمة من غنائمهم ومسروقاتهم الثمينة وعادوا ثانية غانمين ظافرين في ٣٠ سبتمبر سنة ٨٤٣م ليعدوا العدة لحملات أخرى تجعلهم في ثراء فاحش[٣].

هكذا نرى أن سنة ٨٤٣م وما صاحبها من أحداث نتج عنها نتيجة بالغة الأهمية إذ تحول هؤلاء الغزاة في مرحلتهم الأولى إلى قراصنة مارسوا فيها هجماتهم الخاطفة المباغتة يجمعون فيها غنائم طائلة أغدقت عليهم أموالاً لم يجمعوها زمن ممارستهم الرعي والزارعة ثم التجارة فتخلوا عن التجارة التي لا تجدي كثيراً، ومارسوا القرصنة التي حولتهم إلى أثرياء وكانت تلك الأعمال الإجرامية يمارسونها خلال فصل الربيع والصيف ويجنحون

---

(١) عن مدينة بوردو Bordeaux انظر خريطة رقم (٤)
- وللتفاصيل نظر: Monmarche', p. 167-171 Joutard, pH., Atlas des lieux historiques de la France, Paris, 1984, p. 88-89.

(٢) عن مدينة سانت Saintes انظر خريطة رقم (٤)
- وللتفاصيل انظر Monmarche' p. 921-923; Joutard, p. 299
- وعن نهري اللوار La Loire والسين Seine انظر خريطة رقم (١)

(٣) Fragmentum Historiae Britanniae Armoricae p. 47-48; Ex chronico Namnetentsi, p. 218-219.

إلى الراحة بقية فصول السنة، فينسحبون محملين بغنائم دون البقاء والاستقرار على أراض الإمبراطورية لأن الظروف المناخية وقفت لهم بالمرصاد وطردتهم.

إلا أنه في سنة ٨٤٣، بعد تأسيسهم قاعدتين عسكريتين إذاقة إلى مراسي عند مصبات ومداخل بعض الأنهار والبحار حتى يتسنى لهم نقل المعدات وآلات التدمير والمؤن بالأيدي إلى داخل المدينة المراد مهاجمتها(١)، تلك الاستعدادات الهائلة، جعلتهم يفكرون جديً في الاستقرار عل الأراضي الكارولنجية، فاتحين أعينهم طوال الأعوام التالية وطوال فصول السنة لانتهاز الفرص السانحة للانقضاض على ساكنيها الآمنين الذين لا يقدرون على مقاومتهم وزاد الأمر سوءا اندلاع الحرب الأهلية بين ورثة الإمبراطور لويس التقي التي سبقت أن تلازمت معه تلك الحرب لتفضيله وريث على آخر، ولا مجال للخوض في الأمور السياسية الداخلية التي بحثت من قبل ولا جديد فيها، والأهم من ذلك التركيز على الغزاة النورمان –التزاما بعنوان البحث– الذين قلبوا إمبراطورية شارلمان رأساً على عقب.

- **معاهدة فردان ومدى فاعليتها في إنهاء غزوات النورمان:**

ولا يفوتنا ذكر اتفاق الغرماء بعد مفاوضات استمرت عاماً وقد سبقتها العديد من الحروب التي بدأت بين الوالد وأولاده، ثم بين الورثة الثلاثة– لم نغُص في تأصيلها حتى نلتزم بعنوان البحث – وانتهت في أغسطس سنة ٨٤٣م على اقتسام الإمبراطورية الكارولنجية على الوجه التالي(٢):

يؤول الجزء الغربي من الإمبراطورية إلى شارل الأصلع ويشمل الأراضي الواقعة غربي نهر إسكو Escaut ونهر ميز Meuse ونهر الساؤون Saone ونهر الرون Rhone إضافة

---

(١) Cassard, J., le Monde autemps des invasions, de la findu ive siècle a' la fin du xe sie'cle, Paris, 1967, p. 251.

(٢) عن هذه الأنهار انظر خريطة رقم (١).

إلى أكيتانيا[١] Aquitaine التي آلت إليه بعد وفاة شقيقه "بيين الأول Pepin1" سنة ٨٣٨م، وسمي هذا القسم بفرنسا الغربية Francia Occidentalis وهى فرنسا الحالية وقد احتفظت هذه المملكة بحدودها تلك طوال العصور الوسطى.

وورث لويس لجرماني Louis Germaique الأراضي الواقعة شرقي نهر الراين Rhin وشمال نهر الألبAlpes إضافة إلى بافاريا[٢] Baviere التي عبر حاكمها عليها في عهد ولده لويس التقي، وأطلق على هذه الأراضي فرنسا الشرقية Francia Orientalis وهي ألمانيا الحالية.

وأخيرًا احتفظ لوثر Lothoraire دون سابقيه بلقب إمبراطور إذ أشركه والده في الحكم وعينه إمبراطورا شريكًا –آنذاك– حفاظاً على وحدة الإمبراطورية وذلك بموجب مرسوم ordination imperii الذي أصدره في يوليو سنة ٨١٧م، واحتوت مملكته على لوثرنجيا[٣] Lutharingie وكذا الأراضي الممتدة بين مملكتي الشقيقين، وهو شريط طولي يمتد شمالاً من بحر الشمال إلى خليج تارنت Tarente جنوباً، حيث يضم العاصمتين الامبراطوريتين وهما إكس لا شابل[٤] – – Aix – La Chapelle ويقطنها شعوب متنوعة اللغات مع تنوع مواردها الاقتصادية وهي إيطاليا الحالية [٥] وكان من المتوقع أن تطوى هذه المعاهدة التاريخية صفحة الحروب بين

---

(١) عن أكيتانيا Aquitaine انظر خريطة رقم (٤).

(٢) عن بافاريا Baviere انظر Hachette, p. 134.

(٣) عن لوثرنجيا Lutharingie انظر Bukor, H., Atlas des pays du monde, p. 69

(٤) عن إكس لا شابل Aix La Chapelle انظر خريطة رقم (٤)

(٥) أكثر من عشرين مصدر سجل معاهدة فرحان وكذا كافة المراجع العربية والأجنبية التي تناولت تاريخ أوروبا في العصور لوسطى وسنكتفي بالإشارة إلى بعض المصادر والمراجع الأجنبية:

- Annals Francorum Bertiniani, p. 62; annals.
- Francorum fuldenses, p. 160; A. mettenses, p. 185.
- Ex brevi chronico S. Galli, p. 207. Cf. gauyard, C., histoire moyen AGE, p 98-99; Salles, C. histoire d'une nation Paris 2005, p. 129-130; Chedeville, a., la

الغرماء الثلاثة ولكن هذا لم يحدث رغم أن الغزاة النورمان على الأبواب لا يكفون كل عام عن اجتياح أراضيهم دون أن يلقوا مقاومة تذكر وكان شارل الأصلع أكثر من عانى من هؤلاء الغزاة، لما في مملكته من ثروات طائلة مع انعدام المقاومة الفعالة إضافة إلى التمزق الداخلي، وسنجده في صفحات تالية يدفع أموالاً طائلة مقابل رحيل هؤلاء القراصنة عن مملكته، حدث ذلك مرات عديدة.

- **حملة النورمان على غربي بروتاينو سنة ٨٤٤م:**

ومما يذكر أن شبه جزيرة بروتانيو تجمع قاطنوها من الأنجلو – ساكسون Anglo – Saxon في غربها إذ شكلوا الأغلبية، لذا تحول اسمها من أرموريك Armorique إلى بروتانيو Bretagne أما القسم الشرقي من بروتانيو فقد شكل الفرنجة Le France غالبيته العظمى فيه.

وقد سبق أن أوردنا أن جزيرة نوارموتييه التي أطلقت عليها اسم شرفة المحيط الأطلسي كانت إحدى أهم قواعد النورمان العسكرية لكونها تسيطر على جنوب غرب فرنسا Francia Occidentalis لذا سجلت حولية سان بارتان Annales Fracorum Bertiniani رواية مفادها أن النورمان أقدموا سنة ٨٤٤م على تخريب المدن المطلة على شواطئ شبه جزيرة بروتانيو(١) وانتقلوا لمدة ثلاثة أيام من موضع لآخر دون أن يلقوا مواجهة من سكانها الآمنين، وكان لا هم لهم آنذاك إلا السرقة والنهب وقتل الأبرياء وعانى المقهورون الآمرين من آثار تلك لغزوة المدمرة(٢).

France au moyen age Paris, 1965, p. 34; miquel, p., histoire de France, Paris, 1976, p. 64; Vallard, d., doctionnaire histori que paris, 1995, p. 960.

- والجدير بالذكر لم نخصص خريطة للممالك الثلاث التي نتجت عن معاهدة فردان Verdun لكونها واردة في كافة المراجع العربية والمعربة التي تناولت تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، وما أكثرها، فالباحث يأتي بالجديد ولا ينقل لمتهلك بنفس الأخطاء الواردة فيه.

(١) عن شبه جزيرة بروتانيو Bretangne في القرن التاسع الميلادي انظر خريطة رقم (٢).

(٢) Annales Francorum Bertiniani, p. 63; Ex Chronico de gestis normanorum, p. 152.

- **إغارة النورمان على تولوز وغاليسيا ومسلمي الأندلس:**

هذا وقد تزامنت تلك الحملة أيضًا مع قيام عصابة ثانية من القراصنة النورمان بالإبحار في نهر الجارون[١] La Garonne حتى وصلوا إلى مدينة تولوز[٢] Toulouse وقد تعودوا على نهب وتخريب كل ما هو طيب، وحظوا بغنائم طائلة وأعقب ذلك إقدام البعض الآخر على مهاجمة غاليسيا[٣] (جيليقيا) Galice ومن هؤلاء بشر الهزائم وكان مصير غالبيتهم القتل على يد رماة سهام مهرة كانوا قد أسرعوا لقتال هؤلاء الغزاة، أما البعض الآخر من النورمان فقد أتت العواصف العاتية على سفنهم، فأغرقتها، وأخيرا انقضت كتائب من النورمان على يد مسلمي الأندلس، ودار قتال بين الطرفين المتصارعين وفي تلك المعركة تمكن الأندلسيون من إلحاق شر الهزائم بالنورمان وعاودوا أدراجهم[٤].

ومما يذكر أن إغارة النورمان على الأراضي الواقعة بين نهري اللوار La Loire والجارون La Garronne تعد إغارة على الأراضي الأكيتانية وكانت أكيتانيا[٥] Aquitaine آنذاك خاضعة لسيادة الملك شارل الأصلع.

- **معاودة هجومهم على وادي نهر السين سنة ١٨٤٥ وغزوهم لرووان ثانية:**

وبعد هزيمتهم على يد مسلمي الأندلس الشجعان سنة ٨٤٤م أكره النورمان على التخلي عن غزو شبه الجزيرة الأيبيرية، وعاودوا الإغارة على أراضي الإمبراطورية الكارولنجية حيث المقاتلين الذين لا يقوون على مواجهتهم، ويرتابون من رؤيتهم لكونهم يعانون من الضعف والتمزق.

---

(١) عن نهر الجارون Garonne انظر خريطة رقم (١).
(٢) عن مدينة "تولوز" Toulouse انظر خريطة رقم (٤).
(٣) تقع "غاليسيا" Galice شمال غرب إسبانيا، وتطل على المحيط الأطلسي، انظر Hachette,. 633.
(٤) Annales Francorum Bertaniani, p. **63**.
(٥) عن "أكيتانيا" Aquitaine انظر خريطة رقم (٤).

وكان النورمان في سنة ٨٤٤م –كما رأينا– قد انتقلوا من مهاجمة بلدان نهر السين إلى مهاجمة بلدان نهر اللوار إلا أنه في السنة التالية –أي سنة ٨٥٤م– عادوا ثانية لمهاجمة نهر السين بسهولة الإبحار في مياهه، فأثناء إقامة شارل الأصلع في كمبينني Compiegne في ٢١ يناير سنة ٨٤٥م، ثم انتقاله للإقامة في سان كوينتان Saint Quentin في ٧ مارس، كان عليه مواجهة خطر مفزع وغير متوقع داهم مملكته غربي فرنسا[١] Francia Occidentalis التي أصبحت فيما بعد فرنسا، ففي أوائل مارس سنة ٨٤٥م، وصل إلى مصب نهر السين Saine أسطول نورماندي يتكون من مائة وعشرين سفينة وهو رقم مبالغ فيه بقيادة رجنار Ragnar على متنه قراصنة بحر دانيين، فأقدم على تدمير بعض الجزر ثم واصل إبحاره في نهر السين، وتمكن النورمان من غزو مدينة رووان Rouen دون أن يصادفهم أي نوع من المقاومة وكعادتهم حرصوا على نهبها وتدميرها.

وبعد هذا الانتصار السريع والسهل لكونه لم يواجه مجابهة تذكر لم يفكر النورمان في الانسحاب، بل تشجعوا في إحراز مزيد من الانتصارات، فأقدموا على ارتكاب جرائم لا مثيل لها ولم يشهدها العالم منذ الخليقة –على حد قول مصنفي برتان Bertin وفولدنس Fuldenses وفي هذا التشبيه مبالغة واضحة كما قام هؤلاء الغزاة بإحراق ونهب وتدمير وقتل والإتيان على كل ما صادفهم دون أي عائق أو مقاومة أو صمود فبدلا من تهيئة المقاتلين للمواجهة لاذ الجميع بالفرار، وكان هدف النورمان الأساسي هو غزو العاصمة باريس[٢] Paris، تلك المدينة الشهيرة منذ زمنًا طويلا بموقعها المميز وثرواتها الطائلة، وقد اتخذها كلوفس Clovis (٤٨١– ٢٧ نوفمبر ٥١١م) عاصمة له حسب رواية جريجوار دوتور Gregoire de Tours في

(١).أفردنا عنها خريطة بعنوان "مملكة شارل الأصلع" انظر خريطة رقم (٤).

(٢) Annales Francorum Bertiniani, p. 63; Fragmentum Chroniconici Fontaleensis, p. 231.

مصدره "تاريخ مملكة الفرنجة" الذي أورد أنه جعلها مقراً لعرش مملكة الفرنجة بعد تخليه عن عاصمته تور[١] Tours، لماذا اتخذ هذا القرار؟.

مما لا شك فيه أن غزو أكيتانيا Aquitaine جعل الجنوب يشكل خطراً على مملكته الناشئة لذلك فكر في نقل عاصمته إلى موضع مريب من مركز الخطر فاختار باريس بدلاً من تور Tours، كما أن عاصمته الجديدة على وجه الخصوص تتميز بموقع استثنائي لكونها مدينة جزرية منيعة لا ترام، بسبب حصونها الشاهقة الارتفاع إضافة إلى أنها تقع في ملتقى تقاطع الطريق النهري المتجه شرقاً وغرباً كما أن بها جزراً صغيرة متناثرة وكانت تؤمن الربط والاتصال بين كافة أراضيها وخاصة الأراضي التي تم غزوها منذ زمن قريب، وكذا مع المناطق التي تكثر فيها عناصر فرنجية الأصل، وتلك التي في طريقها الاستيطان، كما أن باريس ورثت واحتفظت آنذاك بفخامة وعظمة روما.

ومما يذكر أن جزيرة باريس – على وجه الخصوص– كانت تضم الحي الديني الموجود في شرق المدينة حيث الكاتدرائية، والحي المدني الكائن في الغرب حول البريتوريوم Praetorium والذي كان فيما مضى القصر القديم الذي كان مقراً للحكام الرومان منهم: الإمبراطور جوليان المرتد Julien the Apostate والذي أقام فيه في الفترة من ٣٥٧ إلى ٣٦٠م، والإمبراطور فالنتيان الأول Valentinian 1er (٣٦٥ – ٣٦٦م)، وكان من الطبيعي أن يقيم فيه كلوفس Clovis.

هذا وقد أراد مؤسس المملكة الميروفنجية أن يترك بصماته في عاصمته الجديدة، فقام بتشييد كاتدرائية كرست على وجه الخصوص باسم القديسين بطرس وبولس، وأوصى بأن يدفن فيها (توفي في ٢٧ نوفمبر سنة ٥١١م) وتدفن بجواره زوجته كلوتلد Clotilde التي توفت فيما بعد سنة ٥٤٥م[٢].

(١) جاء في هذا المصدر: Leaving the he went to Paris and he established the seat of his kingdom.

- انظر History of the franks, book, c.**38**

(٢) Lebecq, S. les origins franques ve- ix e siencle, lille, 2010, p. 57.

- **شارل الأصلع يدعو إلى التعبئة العامة:**

على أية حال في حوالي منتصف شهر مارس سنة ٨٤٥م، دعا شارل الأصلع جيشه الإقطاعي للتعبئة العامة، والتجمع في مدينة شارلوفان Charlevanne الواقعة على الضفة اليمنى لنهر السين Seine في اتجاه مصبه وفي الطريق إلى باريس فتجمع الكثير من رجال الإقطاع على رأس جيوشهم، ولكن ليس كلهم "كما كان يتعشم الملك الفرنسي، وعندما لاحظ رجال الإكليروس في المنطقة الباريسية عدم التكافؤ بين القوتين المتصارعتين الفرنسية والنورماندية، انتابهم الخوف ولاذوا بالفرار حاملين معهم رفات قديسيهم، أما رهبان دير سان دنيه Saint denis فقد انتظروا وصول الملك شارل الأصلع إلى ديرهم، ليخرجوا له رفات هذا القديس الذي يعتبر شفيعه ويتبارك به، كما كان له ولاء خاص لهذا الدير [١].

ولم يتحمل العاهل الفرنسي رؤية الرهبان يلوذون بالفرار من موت محقق على يد الوثنيين النورمان، لذا أصدر أوامره بإعادة رفات هذا القديس إلى موضعه [٢]. ويذكر المؤرخ هنكمار Hincmar أن شارل تعهد في هذه الكنيسة أن يواجه النورمان مهما كلفه ذلك من ثمن حماية لدير هذا القديس المبجل وقاطنيه وكذلك ضواحي الدير. [٣]

وخطط لخوض غمار هذه المعركة الهامة على الوجه الآتي: احتفظ بجواره بالغالبية العظمى من الجيش، ثم أصدر أمره إلى كتيبة من كتائبه بعبور نهر السين Seine والتوقف عند بوجيفال Bougival الواقعة على مسافة ثلاثة كيلومترات شرقي لوفوسين [٤] Louvecienne حيث عليهم إقامة معسكرهم بالقرب من العدو النورماني إلا أن أوامره نفذت ببطء من البعض والبعض الآخر ضرب بها عرض الحائط.

---

(١) Annales S.Dionysii, Paris 897, p. 274.
(٢) Translatio Sancti Germani Parisiensis in Annelecta Bollandiana, p. **75**.
(٣) Ex Libro Hincmari, p. 293.
(٤) وللتفاصيل عن "بوجيفال" Boogival انظر: Barbey, A., La France, Paris, 2005, p. 505-506.

والجدير بالذكر أن النورمان لم يحشدوا كافة قواتهم في الموضع سالف الذكر، بل تفرقوا في مواضع أخرى بحثاً عن منهوبات تنقلهم من الفقر المدقع إلى الثراء الفاحش، ومع ذلك رغم قلة المقاتلين النورمان مقارنة بالكتيبة الفرنجية الأكثر عدداً، وكان هذا غير متوقع من الفرنسيين على الإطلاق، إلا أن النورمان لم يتطرق إلى قلبهم الفزع لقلة عددهم بل تحدوا شجاعة هذا العجز وخاضوا المعركة ببسالة وحققوا انتصاراً على الجيش الفرنسي[١] ووصلوا إلى أقصى مراحل الدموية حين أعدموا مائة وإحد عشر أسيراً تحت سمع وبصر الملك وكبار قادة جيشه حتى يحطموا معنوياتهم، وبعد بضعة أيام تمكنت كتيبة من الجيش النورماني من الرسو براً على الشاطئ الأيسر لنهر السين وحتى وصلت إلى وادي النهر، فانتاب الفزع المقاتلين الفرنسيين المطلقين بالدفاع عن دير القديس دينيه وضواحيه، ولاذوا بالفرار في كافة الاتجاهات، عندما رأى شارل هذا التخاذل والتقاعس، ذلك الملك النبيل الذي كان مستعداً للتضحية بحياته من أجل شفيعه وكنيسته، انتابه الحزن والاكتئاب وضرب على صدره وانسحب[٢].

- **النورمان يجتاحون العاصمة باريس:**

وهكذا ليس فقط الأديرة الواقعة على الضفة اليسرى لنهر السين مثل دير سان – جرمان – دي بريه[٣] Saint – Germain – de Pres ودير القديسة جنفيف[٤]

---

(١) Annales Francorum Bertiniani, p. 63.

- ويحسب للمؤلف المجهول لتلك المولية اعترافه بأن النورمان –رغم قلة عددهم- قاتلوا جيش شارل الأصلع بشجاعة بالغة ونرجع ذلك إلى الانتصارات المتلاحقة التي حققها النورمان والتي نتج عنها ارتفاع معنوياتهم مقارنة بالمهزومين الفرنجة التي وصلت روحهم المعنوية إلى أدناها.

(٢) Translatio Sancti Germani Parisiensis, p. 57.

- ودير سان جرمان ديه بريه Saint- Germain- des – Pres في باريس يعد أحد أديرة العصور الوسطى، تم تشييده على الضفة اليسرى لنهر السين Seine بواسطة الملك شلدبير الأول Childebert1 والد مؤسس الأسرة الميروفنجية فنجية كلوفيس (٤٨١- ٥١١م) Clovis وذلك سنة ٤٥٨م، وتعد كنيسة هذا الدير إحدى أقدم كنائس باريس، إذ تعود إلى القرن الثاني عشر الميلادي.

انظر: Larousse Grand Furmat, Paris 2005, p. **165**

(٣) De carolo calvo, p. **349 – 350**.

(٤) e carolo calvo, p. **348**.

Sainte – Genevieve تعرضا لأعمال السلب والنهب والتخريب، بل أيضاً العاصمة باريس التي اجتاحها رجنار Ragnar في ليلة الاحتفال بعيد القيامة سنة ٨٤٥م، ولزيادة الآلام والإذلال انقض النورمان على سكانها، فلاذوا جميعاً بالفرار وفي سان جرمان – دية بريه، أراد القراصنة النورمان قطع دعامات الكنيسة لاستخدامها في سفنهم، وكتذكار ولانتصارهم، انتزعوا الحليات الحديدية من باب مدينة باريس.

- **انسحاب النورمان من باريس مقابل فدية طائلة:**

هكذا فشلت كافة وسائل الصمود في مواجهة هؤلاء الغزاة، فالجيش الفرنسي كان محصورًا كقطيع خرفان حول كنيسة سان دينيه Saint Denis رافضا القتال وكان الأمر يتطلب الدخول في مفاوضات مع هؤلاء الغزاة الوثنيين، وبعد موافقة كبار القوم، عرض شارل الأصلع دفع فدية مقابل انسحابهم من مدينة باريس التي احتلوها ليلة السبت ٢٨ مارس سنة ٨٤٥م، فوافقوا مقابل الحصول على سبعة آلاف جنيه من الفضة، أي ثلاثة آلاف كيلو جرام من الفضة وزناً[١].

فاجتمع رجنار Ragnar القائد العام للقراصنة النورمان، مع بقية القادة، فوافقوا على الانسحاب[٢]، وحسب ما أورده إمون ذوسان جرمان Aimuin de Germain فإن القادة "أقسموا بأن لا يتسللوا على الإطلاق إلى المحكمة الفرنسية"[٣]،

(١) Lynch, les Vikings, des ecumeurs venus du nord, p. 58.

- وقد سميت هذه الفدية عند النورمان وأنوجلد Danegelds بمعنى ذهب النورمان فالكلمة مكونة من مقطعين: الأول: Dane أي دانيين أي نورمان الدانمرك والثانية: Gelds أي ذهب، وقد اضطر شارل الأصلع دفع الجزية للنورمان مقابل الجلاء عن أراضيه في سنوات ٨٤٥، ٨٥٣، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٦، وأخيراً في سنة ٨٧٧م، وهي سنة وفاته، ولم يبق إلا أن يدفعها بعد وفاة أبيه.

(٢) Fontanellensis, p. 41; Annales Bertiniani, p. 63; Ex Appendice secundaad chronicum fontanellense, p. 231; Ex diversis chronicis, p. 271 lf. Habert, l., Entre la croix et croissant, Paris, 2015, p. 67.

(٣) Aimoin de Saint- Germain., E Transilatione et Miraculis sancti Germani, ed. G. Waitz, in MGH, Scriptorest xv, (I) Hanover, Hann, 1887, p. 14.

إلا أن حوليتي "سان برتان" و "فونتا نللنسس" أكدتا أنهم نكثوا بالعهد –كعادتهم– وشنوا حملة على فريزيا Frise الخاضعة آنذاك للوثر، حدث أثناء انسحابهم(١).

ولقد أحدث سقوط باريش، ودفع الجزية المطلوبة لإخلائها من الغزاة النورمان صدمة كبرى، وذهولاً في كافة ربوع الغرب الأوربي، كما أثبت ضعف أحفاد شال العظم Carlos Magnus أي شارلمان– في مواجهة مغول العصر(٢).

ولا يفوتنا ذكر أثر الانتصارات المتلاحقة على معنويات كافة عناصر السكان الفرنسيين المهزومين، فبدلاً من مواجهة العدو النورماندي كانوا يلوذون بالفرار حفاظاً على أرواحهم فنجد رجال الاكليروس يهربون متنقلين من موضع غير آمن إلى آخر آمن، حاملين معهم قدر الاستطاعة رفات قديسيهم أما عامة الناس فيسبقون رجال الاكليروس في الفرار إلى الأماكن الآمنة.

بينما رجال الأقطاع الموكل إليهم الدفاع عن الجميع والتي مهنتهم الأساسية التمرس على الدوام – على فنون الحرب والقتال، نجد معنويات هذه الطبقة قد انحطت إلى أدناها بسبب هزائمهم المتلاحقة كما رأينا وسنرى، فالكل يسعى للحفاظ على حياته بدلاً من مواجهة عدو يزداد كثرة بينما النورمان يزدادون طمعاً في جمع الثروات يوماً بعد يوم.

ولا ننسى تسجيل ارتفاع معنويات النورمان إلى أقصاها إضافة إلى تشجيعهم للقيام بالمزيد من الحملات الظاهرة التي سيجنون ثمارها بمزيد من الأموال الطائلة فالمال الذي جنوه من تلك الحملة شجعهم على جني المزيد والمزيد.

- **هجوم النورمان على حملة لويس جرماني:**

وبمجرد دفع الفدية المطلوبة، أبحر الداينون إلى بلادهم محملين بغنائم هائلة، كان ذلك في ربيع سنة ٨٤٥م، كما أنهم أقدموا على تخريب شواطئ بحر المانش Manche ثم رسوا على أراضي فريزيا Frise الخاضعة للوثر Lothaire معارك، هزموا في الأولى ولم يتقبلوا الهزيمة، فخاضوا بعد ذلك معركتين انتصروا فيها على الفريزيين.

(١) Annales bertiniani, p. 63; Ch. Fontanellensis, p. 41

(٢) Translatio Sancti Germani, p. 70- 72., Poetae Latinae Aevi Karoli, t., p. 39.

عقب ذلك انسحبوا محملين بغنائم طائلة إلى بلادهم الدانمرك، فأساء الملك هوريك الأول Horic1 استقبالهم، لكونهم تصرفوا من تلقاء أنفسهم وليس بناء على رغبته وموافقته على حملتهم قبل انطلاقها(١).

وفي نفس تاريخ الحملة السابقة، أي في ربيع سنة ٨٤٥م، قاد الملك النورماندي هوريك الأول Horic1 شخصياً حملة ضد الملك لويس الجرماني (٨٤٣-٨٧١) Loius Le Germanique فكان على رأس أسطول مكون من ستمائة سفينة وهو رقم مبالغ فيه.

على أي حال، أبحر الأسطول النورماني في نهر الألبُ ملاث، ألا أن السكسون ألحقوا به الهزيمة وربما يفضل نجده رجنار لودربروك Ragnar Lodbrok كان سينتصر(٢)، ففي لحظة ما كان النورمان ينزلون من سفنهم بغرض التوجه للقاء الملك شارل للتفاوض على قيمة الفدية سابقة الذكر كان هوريك Horic يتفاوض مع لويس الجرماني، بل إن أحد موفدي لويس كان في بلاط هوريك، ولم ينبهر الملك النورماني بتصرفات رجنار الذي أظهر له الحليات الحديدية لباب مدينة باريس، وكان يفخر بأنه فرض جزية على الملك شارل، هذا بينما أطلق هوريك سراح الأسرى المسيحيين للملوك الفرنسيين الذين كان له علاقة بهم، من بينهم لويس الجرماني، وكذلك الكنوز التي كان قد استولى عليها من وادي نهر السين(٣).

وحدث آنذاك أن توفي رجنار لودبروك Ragnar Lodbroc حين عودته بلاده وفاة لا يعرف سببها(٤).

---

(١) Annales Bertiniani, p. 63; Ch Fontanellensis, p. 41; Ex Appendice secunda ad chronicum fontanellense.

(٢) Bauduin, p., Le Mondefranc et les Vikings, V111, Xe siècle, Paris, 2009, P. 152, Renaud., Les Vikings et les celtes, p. 122.

(٣) Translatio sancti Germani, p. 91- 93.

(٤) De Carolo Calvo, p. 350.

• حملات النورمان على فريزيا وأيتانيا وليموج:

ونرى أنه كان على شارل الأصلع أن يدافع عن واجهته بحرية تمتد من فلاندر[١] Flandre شمالاً، حتى الشواطئ الأندلسية جنوباً، وهذا يتطلب منه أن يكون لديه أسطولاً كبيراً معداً خير إعداد يفوق السفن الحربية النورماندية التي تتمتع بسرعة فائقة، إضافة إلى بحارة يتمتعون بخبرة كبيرة في فنون الحرب والقتال البحري علماً بأن الإمبراطورية الكارولنجية كانت تفتقر إلى هذه الإمكانيات.

على أية حال لم تفلت سنة ٨٤٦م من هجمات النورمان، فقد سجلت المصادر أن القراصنة الدائنين أي النورمان سكان الدانمارك Piratae Danorum انقضوا على فريزيا وبسطوا سيادتهم على كافة ربوعها[٢] بعد أن أقدموا على تخريبها وتدميرها ولم تسلم من التدمير ما بها من كنائس، كما قاموا بذبح سكانها[٣].

وعندما علم أساقفة ورؤساء أديرة فلاندر Flandre بتلك الأعمال الوحشية انسحبوا إلى مدينة سان أومير[٤] Saint Omer حاملين معهم رفات قديسيهم.

ولقد انتهز النورمان الاقتتال الدائر بين نومينويه Nomenie دوق بروتانيو Bretagne والملك شارل الأصلع[٥]، ووهاجموا أكيتانيا AquitaineK، وانتشروا في ربوعها ناشرين الفزع بين قاطنيها[٦]، ولم يكتفوا بذلك، بل قاموا في شهر يونيو بإحراق جزيرة نوارموتييه[٧]، ثم زحفوا على ليموج ليموج Limoges فلاذ سكانها بالفرار إلى مواضع متعددة هرباً من الذبح[٨].

---

(١) عن فلاندر Flandre انظر خريطة رقم (٤).

(٢) **جاء** في حولية فولدانسس: Piratae Danorum Frisiam adentes.
Ex Charonico de Gestis Normannorum, p. **158**; de Carolo Calvo.

(٣) Ex Chronico de Gestis Normannorum, p. **152**; de Carolo Calvo Epistola Sergii, Para ad Epicopos, p. **380**.

(٤) Annales Fracorum Fuldenses, p. **164** :انظر Totapene Provicia potiuntur.
- عن مدينة سان اومير Saint- Omer انظر خريطة رقم (٤).

(٥) Ex Gestis consulum and Egavensium, p. **256**; Ex Chronico Fratris Richardi, p. **258**.

(٦) Ex Chronico Fratris Richardi, p. **258**.

(٧) Ex Charonico engolismensi, p. **222**.

(٨) Ex Carolo Clavo epistola segii, Papae ad epicopis, p. **370**.

- **هزيمة نومينويه واجتياح فريزيا، واتفاق الأخوة الثلاثة على تهديد النورمان بإعلان الحرب عليهم:**

وتحت أحداث سنة ٨٤٧م، أوردت حولية برتان Annales Francorum Bertaniani أن الدائنين زحفوا جنوب مملكته القديمة إلى أن وصلوا إلى البروتون أي سكان بروتانيو Brotagne وشنوا عليها ثلاث حملات وألحقوا الهزيمة بنومينويه Nomenoe هو وأتباعه، فما كان منه أن قدم هدايا ثمينة إلى الغزاة الدائنين –أي النورمان– حتى يرحلوا عن بلاده(١).

وبعد رحيلهم عن بروتانيو توجهوا كالعادة إلى فريزيا Frise، وبسطوا سيادتهم عليها(٢)، عليها(٢)، والجدير بالذكر أنه طبقاً لمعاهدة فردان سنة ٨٤٣م كانت فريزيا خاضعة للوثر، وأخيراً، اجتمع الأخوة الأعداء لوثر Lothaire ولويس Louis وشارل الأصلع Charles le Chauve وأرسلو سفيرا إلى ملك الدائنين ويدعى أوريش أو هوريك Eurich يطلبون منه أن يضع حدًا لهجمات أتباعه القراصنة النورمان وإلا سيعلنون الحرب عليه وسيقاتلونه(٣).

هكذا نرى لأول مرة تتوحد كلمة الأخوة الأعداء المتقاتلين، ويتفقون إلى ضرورة مواجهة خطر كاسح لإمبراطورية مترامية الأطراف ورثوها، ثم اتفقوا على تقسيمها إلى ثلاث دول متنافرة متناحرة، إلا أن خطر النورمان المتزايد يوماً بعد يوم، ولم يكف عن التوقف حتى ولو عام، وحد صفوفهم لمواجهته حفاظاً على كيانهم وكيان الممالك الثلاث التي ورثوها دون عناء(٤)، إلا أن هذا الاتفاق استمر حتى شهر شهر فبراير سنة ٨٤٨م أي استمر أقل من عام إذا تحالف لوثر مع شقيقه لويس ضد شقيقها شارل الأصلع كما سنرى في صفحة تالية.

---

(١) Annales Francorum Bertianini, p. 64; Episcotolae lupi Ferrariensis Abbatis, p. 499.

(٢) Chronico de Gestis Normannorum, p. 152.

(٣) Annales Francorum Bertiani, p. 65.

(٤) Annales Francorum Bertaniani, p. 64.

• شارل يهزم النورمان في بوردو سنة ٨٤٧م:

على أية حال بعد الاتفاق الثلاثي سالف الذكر تذكر حولية برتان تحت أحداث سنة ٨٤٧م، أن شارل الأصلع حشد جيشاً لقتال النورمان بعد أن استنجد به سكان بوردو[١] Bordeaux والتي كانت عاصمة دوقية غسقونيا[٢] Gascogne وبالفعل تمكن من إلحاق شر الهزائم بقراصنتهم[٣].

ورغم الهزيمة التي لحقت بالنورمان واصل أسطولهم إبحاره وأقدم قراصنته على تخريب الشواطئ الأكيتانية واضطر رهبان دير سان فيليبير Saint Philibert إلى الفرار، ما كان من الدانييم أن أحرقوا ديرهم وذلك في ٢٩ مارس سنة ٨٤٧م[٤]، كما انقضى بعض القراصنة النورمان على مدينة دورستاد[٥] Dorestad الواقعة جنوب شرق فريزيا فقاموا بإحراقها بعد نهبها[٦].

• تجدد الصراع على بوردو بين شارل والنورمان سنة ٨٤٨م:

وفي شتاء سنة ٨٤٨م، شن شارل حملة ضد النورمان، فقد انطلق من حملته في ٢٣ فبراير ووصل إلى تور[٧] Tours عند مدخل أكيتانيا ثم انتقل إلى بواتييه Poitiers في الأول من مارس وواصل زحفه حتى حدود غسقونيا[٨] Gascongive،

---

(١) عن بوردو Bordeaux انظر خريطة رقم (٤).
(٢) عن غسقونيا Gascogne انظر خريطة رقم (٤).
(3) Annales Francorum Bertaniani, p. **65**.
(٤) Loup de Ferieres, Lettre a' Guenelon, Archeveque de sens, ecrite le 29 November 845, ed. Et trad. L. Levillain, t. I, Paris, 1964, p. **187**. Annales Francorum Bertiniani, p. 65 Annales Francorum Fuldenses, p. **161**. Annales Francorum mettenses, p. **186**.
(٥) عن دورستاد Dorestad انظر خريطة رقم (٤).
(6) Ex Chronico Engolismensi, p. 222; Ex Chronico Aquitanico, p. 223; Ex Chronico Ademari Chabannensis, p. **226**.
(٧) عن تور Tours انظر خريطة رقم (٤).
(٨) عن غسقونيا Gascongive انظر خريطة رقم (٤).

Gascongive، وتمكن من الاستيلاء على تسع سفن نورماندية، ولكنه لم يستطع استعادة بوردو Bordeaux التي سبق أن سقطت في أيدي النورمان والتي استولت عليها في غضون الليل، لأنه تركها تداف عن نفسها وكان سبب سقوطها يعود إلى خيانة اليهود، وتم نهب وإحراق المدينة، أما دوق غسقونيا المدعو جييوم Guillaume الذي كان قد تحصن في عاصمته، فقد سقط أسيراً في قبضة النورمان ثم قتلوه[١].

- **خضوع سكان أكيتانيا لسيادته:**

خلاصة القول، فشل شارل الأصلع في استعادة مدينة بوردو، ولكنه بذل مجهوداً يحمل عليه هذا وبينما بين Pepin لم يفعل شيئاً ربما لنقص إمكانياته وموارده، أما الأكيتانيون Aquitains فقد انحطت معنوياتهم، كما اضمحلت شجاعتهم فتخلوا عن بيين ويمحوا وجوههم نحو شارل، واجتمع جمعاً حاشداً في ليموج Limouges وذلك في أواخر مارس.

ومما لا شك فيه كان بمناسبة الاحتفال بعيد القيامة الذي تزامن آنذاك في ٢٥ مارس ومن المحتمل أن الأساقفة وكبار القوم من النبلاء قد أقسموا على يمين الولاء والوفاء لشارل، لكن شارل لم يستمر طويلاً في هذه المقاطعة، وسبب ذلك أنه في الشهر السابق –أي فبراير– كان لوثر Lothaire وشقيقه لويس Louis كانا قد التقيا في كوبلانس Coblence وتسربت الأنباء أن الأول اقترح على لويس أن يتحالفا معاً ضد شقيقهما الشاب شارل، الذي بدوره انتابه الشك فانسحب إلى وادي واز Oise إذ تواجد في شهر ابريل في كويرزي Quierzy أما في شهر مايو ٨٤٨م، فقد كان في كمبينيو[٢] Compiengne.

(١) Fragmentum Chronici Fontanellensis, p. 41. Annales Bertiniani, p. 65. Aimont, Vita Sancti. Abbonis, ed Mabillon, vi, part 1, p. 49; Mabillon. Annales Benedictines, t. p. 644.

(٢) Annales Bertiniani, p. 65; Ex Chronico, Engolismensi, p. 222; Ex Chronico Aquitanico, p. 223, Ex Chronico Ademari Chabannesis, p. 226; Ex Diversis Chronico, p. 272.

- وعن المواضع سالفة الذكر انظر خريطة رقم (٣).

هكذا نرى أن بانسحابه هذا، أكد شارل الأصلع أنه لا يقوى على مجابهة شقيقيه، كما أثبت سلبيته في مواجهة الأخطار المحدقة بمملكته، خاصة خطر الغزو النورماندي لأراضيه، وقد تأكد لنا ذلك حين فشل في استعادة بوردو Bordeaux على سبيل المثال لا الحصر.

- **هجوم النورمان على أنجيه وبيريجوه سنة ٨٤٩م:**

نتيجة لما تقدم، لم يركن النورمان إلى السكينة، ففي العام التالي –أي في سنة ٨٤٩م– هاجموا مدينة أنجيه Angers وضواحيها وكعادتهم نالت نصيبها من الدمار والخراب والسلب والنهب، ثم حولوها إلى رماد واستولوا عليها(١). بعد ذلك توجهوا إلى مدينة بيريجوه Perigueux فخربوها ودمروها(٢).

ونرى أنه كان من الطبيعي أن لا يركن هؤلاء الغزاة إلى السكينة، رغم الغنائم الطائلة التي جنوها، ففي قاموسهم مزيد من الثراء، وشجعهم على ذلك أن السكان الآمنين وكذا رجال الاكليروس بل والمقاتلين المتمرسين على فنون الحرب والقتال، لم يقودوا على وضع جد لزحفهم واجتياح بلادهم كما يحدث عادة في الغزوات المماثلة، فعلى سبيل المثال، انطلق الهون Huns من أواسط آسيا إلى أقصى غرب أوروبا.

وهناك تلقفهم القائد الروماني إنجوس Aetius وحلفاؤه، وألحق بهم شر الهزائم في معركة الهول الكتالونية سنة ٤٥١م، وانتهى الأمر بوفاة زعيمهم أتيلا Atilla، وانتهت أسطورته وتشتت البقية الباقية من مقاتلين كما سبق أن ذكرنا.

(١) Annales Francorum Bertaniani, p.**66**; Ermentaire, translations et miracula s.ohiliberti, ed. R. Poupardin, in Mouments de l' Histoire des Abbayes de Saint Philibert, Paris, **1505**, p. **60-61**.

(٢) A. Bertiniani, p. **66**, Ex Chronico de Gestis Normanorum, p. **153**; Ermentaire, Translationes, p. **61**. Duchesne, A. Historia Francorum scriptores, t. p. **388**. Paris, Cramoisy, **1936**.

- وعن المواضع سالفة الذكر انظر: خريطة رقم (٣) و (٤).

إلا أن النورمان لم يجدوا من يردعهم بسبب انعدام وحدة الصنف والكلمة في المعسكر الطارولنجي، فالهم الأوحد لملوكه الشقاق فيما بينهم، حتى كما رأينا في حملة سنة ٦٤٨م –فشل شارل الأصلح في استعادة مدينة بوردو عاصمة أكيتانيا.

- **استيلاء النورمان على تولوز ثانية، وتخريبهم فلاندر سنة ٨٥٠م:**

على أية حال، بعد الانتصارات المتلاحقة أصبحت بلدان نهر اللوار La Loire عرضة لغزو النورمان، وبالفعل تمكن القراصنة النورمان من الاستيلاء على مدينة تولوز Toulouse سنة ٨٥٠م.

وبعد الإتيان على ثروات أهم بلدان اللوار، يمم قراصنة النورمان وجوههم هذه المرة نحو مملكة لوثر Lothaire وكانوا بقيادة قائدين: روريك Roric وقائد آخر يدعى جودفروا Godefroi وانقض النورمان هذه المرة على فلاندر Flandre الواقعة في شمال مملكة لوثر وخربوها[١].

- **حكمة ملك النورمان في حل نزاع داخلي:**

وحدث آنذاك أن نزاعا نشب بين ملك النورمان هوريك واثنين من أبناء شقيقه، فقد أوردت حولية برتان Annales Francorum Bertaniani أن اثنين من أبناء شقيقه ثارا عليه وأعدا جيشاً من أنصارهما لقتاله فبدلاً من قتالهما أنعم عليهما بقلعة من مملكته كي تصبح تحت سيادتهما[٢]، هذا بينما ملوك الممالك الفرنجية يتقاتلون بدلا من الاتحاد في مواجهة خطر يطيح بعروشهم ولم يدركوا لانعدام بعدهم وبصيرتهم أن الاتحاد قوة.

---

(١) Chr. Fontanellensis, p. **42**.
(٢) Annales Francorum Bertaniani, p. **66**.

ونرى أن تصرفه هذا دلالة على حنكته السياسية وحكمته أيضاً، فقد نجح بدهائه في قمع هذه الفتنة بإشباع طمعهما هادفاً من ذلك عدم فتح جبهتين والتفرغ فقط لاجتياح الأراضي الكارولنجية التي يبعث فيها فساداً، وتدر عليه ثروات طائلة وهي الجبهة المضمونة.

- **فشل لوثر ولويس في مواجهة حملات روريك وجودفروا سنة ٨٥٠م:**

عقب ذلك عبأ القائد روريك Roric عدداً كبيراً من سفن النورمان وأبحر متوجهاً إلى فريزيا Frise ومواضع أخرى مجاورة لها، ولم يتمكن الإمبراطور لوثر Lotaire من إيقاف اجتياحه لأراضيه، لذلك حاول كسب وده وإرضائه، فأنعم عليه – مكرها– بمدينة دورستاد Dorestad إضافة إلى كونتيات أخرى[١].

وطوال شهر يوليو سنة ٨٥٠م، ظهر قراصنة آخرون من النورمان في آن واحد في حوض نهر إسكو Escut ونهر السوم Somme ونهر السين[٢] Seine وقام النورمان بتخريب ثيرووان Therouanne وهي بلدة من بلدان باه – دو – كاليه Pas –de Calais تطل على نهر لي[٣] Lys كما هاجموا سكان شواطئ الأنهار سالفة الذكر.

بعد ذلك انقضت كتيبة أخرى من القراصنة النورمان على كل بروتانيو Bretagne وكذا على إنجلترا ولكنها منيت بشر الهزائم[٤].

هذا وقد مثل روريك Roric أمام الإمبراطور لوثر بتهمة ارتكاب جريمة فزج به الإمبراطور في السجن ولكنه تمكن من الهرب ولجأ إلى بلاط لويس الجرماني، وبعد مضي بضعة سنوات مارس فيها القرصنة تمكن من بسط سيادته على دورستاد ثانية وآنذاك حظي برعاية وحماية لوثر.

---

(١) Annales Francorum Bertaniani, p. 66.

(٢) عن هذه الأنهار، انظر خريطة أنهار فرنسا، خريطة رقم (١).

(٣) Hachette, le dictionaire de notrte temps Paris, 1995, p. 1498.

(٤) A. Bertaniani, p. 66.

- وعن شبه جزيرة بروتانيو Bretagne بريتاني في المراجع العربية وهي ترجمة خاطئة، انظر خريطة رقم (٢).

هذا ما قام به القائد الأول أوريك، أما القائد الثاني المدعو جودفروا Godefroi فقد ترأس قراصنته وهاجموا مملكة شارل الأصلع، وألحقوا بها أضراراً جسيمة، فاستنجد شارل بشقيقه لوثر Lothaire لطرد هؤلاء الغزاة، إلا أن شارل الأصلع غير رأيه، وأشرك جود فروا في مملكته بأن أنعم عليه ببلدة تكون مقر إقامة له، وآنذاك أدرك لوثر أن وجوده غير ذي قيمة وغير فعال ولا جدوى منه، لذا عاد ثانية إلى مملكته[١].

• انتهاك المرحلة الأولى من غزوات النورمان:

هكذا بانتهاء أحداث ٨٥٠م، تنتهي المرحلة الأولى (٧٩٩- ٨٥٠م) من المراحل الثلاث التي مرت بها غزوات النورمان وقف التقييم الذي أعده لوسيان موسيه Lucien Musset في كتابه المعنون "الغزوات، الهجوم الثاني على أوروبا المسيحية Les invasions. Le second Assaut contre l'Europe Chretienne"، وسميت هذه المرحلة بمرحلة النهب المباشر ثم الرحيل[٢]، وتتسم هذه المرحلة -كما رأينا في الصفحات السابقة- بسلب ونهب الكنائس والأديرة بحثنا عن الذهب والفضة والأحجار الكريمة وكذا حال المنازل والقصور، كما حرصوا على جمع الأسرى لبيعهم في أسواق النخاسة وتحميل كافة منهوباتهم على متن سفينتهم وذلك في رحلة العودة إلى أوطانهم ومنذ سنة ٨٤٥م أصبح الرحيل أحياناً مقابل فدية متفق عليها، وقد تناولنا في بحثنا هذا العقد الأخير من هذه المرحلة أي الفترة من ٨٤٠ إلى ٨٥٠م، وهي فترة بالغة الأهمية.

---

(1) Annales Francorum Fuldenses, p. **163**; Annales Francorum Mettenses, p. 187; Ez Hermanni contracti Chronico, p. 233.

(٢) عن المراحل الثلاث انظر: Musscet, l. les invasions, Paris, **1984**, p. **127- 129**.

- وقد نقل عنه كل من Neveux, l'Aventure des Normands, Viii – Xiii sickle, Paris, **2006**, p. **44- 45**; Regis, B. les Vikings, Paris, **2014**, p. **153- 155**.

• نتائج حملات النورمان:

في سنة ٨٥١م، بدأ النورمان حملاتهم الهادفة إلى الاستيطان والاستقرار وبذلك بدأت المرحلة الثانية واندمجت معها المرحلة الثالثة، ففي مستهل منتصف القرن التاسع الميلادي، ونتيجة لغزواتهم الظافرة سالفة الذكر، أسسوا أقاليم تنعم بحكم ذاتي وتسمى دانولو[١] Danelaw ثم أكثروا من غزواتهم وحملاتهم العسكرية لتمتد إلى شمال أوروبا، فاكتسحوا الجزء الأكبر من أيرلندا[٢] Irlande واستقروا في الجزر الواقعة شمال اسكتلندا Ecosse كما أنهم اكتشفوا أيسلندا Island حوالي سنة ٨٦٠م[٣]، وجروينلاند (جرينلاند) Groeland في القرن العاشر الميلادي[٤]، بل أوصلتهم سفنهم القتالية السريعة الدراكار إلى الأراضي الواطئة –أي هولندا[٥]– ولم يفتهم مواصلة غاراتهم على فرنسا بل وحتى الشواطئ الإسبانية[٦]، وتقدموا بعمق إلى داخل الأراضي الفرنسية التي اكتسحوها حتى سنة ٨٨١م أقدموا على نهب مقبرة موحد أوروبا شارلمان الواقعة في إكس– لا– شابل Aix– La– Chapelle في حين استقر البعض منهم في شمال شرق انجلترا وذلك في القرن التاسع الميلادي[٧]، كما انصهروا في بوتقة فرنسا حين استقروا في نورماندي Normandie سنة ٩١١م.

هذا بينما قام البعض الآخر من النورمان بارتياد شواطئ بحر البلطيق مما سمح لهم في القرن التاسع الميلادي بالتسلل إلى روسيا[٨]، فركبوا نهر الفولجا Volga حتى وصلوا إلى

(١) Cyrot, J. histoire du monde du viiie Au xvi- siele. Le moyen afe et la renaissance, Paris, **1982**, p. **81**.
(٢) Neveux, F., l'Aventure des Normands, Paris, **2006**, p. **74**.
(٣) Cyrot, p. **18**; Grant, N. les Vikings Paris, **1998**, p. **28**.
(٤) Grant, p. **28**; Gibson, M, les Vikings, Paris, **1977**, p**. 6**. Grant, p. **28**.
(٥) Gibson, p. **36**; Cyrot, p. **18**. Brochard, PH, Alas du moyen age, Paris, **1986**, p. **62**.
(٦) Gibson, p. **38**; Brochard, p. **62**.
(٧) Cyrot, p. **18**.
(٨) Brochard, p. **62**; Grant, p. **26**, Gibson, p. **38**; Cyrot, p. **18**.

إلى بحر قزوين، وبعدها أبحروا في نهر الدنيير Dniepr حتى وصلوا إلى البحر الأسود(١)، ومنه تواجدوا في القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية، وهنا حنُّوا إلى ماضيهم ومهنة ماضيهم "أي التجارة" بدلاً من "الإغارة"، إذ قاموا بدور الوسطاء بين الامبراطورية البيزنطية والغرب الأوروبي من ناحية وبين الغرب الأوروبي والمسلمين من ناحية ثانية(٢).

وقد اشتهر النورمان ببيع الفراء والعبيد من أسرى غزواتهم العديدة إذ كان الطلب عليهم كثيراً كما كانوا يستوردون الغلال ويبيعونها مقابل أوزان من الفضة، وكانوا يصدرون العسل والشحومات والحبال، وأقاموا وكالات تجارية في البلدان التي راجت فيها سلعهم(٣) واستوردوا الملح والمنسوجات والأواني الفخارية والزجاجية.

وبما أنهم لم يكونوا يزرعون أشجار الكروم لعدم صلاحية زراعتها في مناخ شديد البرودة، لذا كانوا يستوردون النبيذ من فرنسا وألمانيا(٤).

وبوصولهم إلى بحر قزوين كانوا يمتطون ظهور الجمال ليصلوا إلى بغداد عاصمة الخلافة العباسية وفي أسواق المشرق الإسلامي، كانوا يستوردون المنتجات الفاخرة التي كانت تعد آنذاك من الكماليات كالحرير والتوابل(٥)، ويستخدمون الخيول لنقل بضائعهم(٦).

---

(1)Brochard, p. **26**; Grant, p. 26, Cyrot, p. **18**.

(2) Cyrot, p. 18; Brochard, p. 62; Gibson, p. 28.

- هذا وقد أورد "ميكائيل جبسون" Mikael Gibson صورة لعملة إسلامية فضية نقش عليها "بسم الله الرحمن الرحيم" وذكر أنه في السويد تم إنشاء عدد ٥٢ ألف قطعة من العملة سالفة الذكر، وكان يتم تداولها بوزنها بدلاً من عددها. انظر: Gibson, p. 29 هذا وقد أخطأ نيل جرانت جيم أورد نفس العملة ونفس الشكل، وكتب أسفلها تعويذة لجلب الحظ Amulette والسعد. انظر Grant, p. **26**.

(3) Grant, p. **28**.

(4) Grant, p. 22-23

(5) Grant, p. **26**

(6) Grant, p. **27**

ولم يكن النورمان في حاجة إلى استئجار سفن تجارية لنقل بضائعهم إذ كانت لديهم سفن تجارية تسمى "كنور" Knors –سبق ذكرها– كانت أكثر اتساعاً من السفن الحربية المسماة "دراكار" Darkkars وكانت الكنور بإمكانها أن تحمل على متنها من أربعين إلى خمسين طن من البضائع، وكان بحارتها أقل عددا من الدراكار، كما كانت سفناً شراعية وتستخدم المجاديف وقت الضرورة فقط[١].

هذا وتذكر بعض المراجع الأجنبية أنهم اجتازوا بسفنهم السريعة المحيط الأطلسي غرباً حتى وصلوا –قبل "كريستوفر كولومبوس" إلى الشواطئ الشمالية للولايات المتحدة الأمريكية وشرقي كندا[٢]، وقد ارتاب من غزواتهم قاطنوا شواطئ البحر الأسود وبحر قزوين والبحر المتوسط وبحر الشمال[٣].

ونرى أن غزوات النورمان على الامبراطورية الكارولنجية كانت فاتحة خير عليهم إذ أكسبتهم ثقة بسبب قوتهم البحرية السريعة والتي حرصوا على تطويرها، كما جعلتهم يجمعون ثروات طائلة، وشجعتهم على غزو العديد من المواضع دون أن يلقوا مقاومة تذكر، بسبب استخدامهم سفنهم السريعة من ناحية، وسلاح المباغتة من ناحية أخرى.

ووصلوا إلى قمة نجاحهم حين اكتشفوا مواضع لم تكتشف من قبل، فأضافوا الجديد على خريطة عالم العصور الوسطى، ولا يفوتنا ذكر أنهم تركوا بصماتهم على خريطة فرنسا إلى يومنا هذا، حين اقتطعوا سنة ٩١١م شمالها الغربي الذي سمي "نورماندي" (نورماندیا في المراجع العربية) Normandie –كما سبق أن ذكرنا– والشهيرة بكثرة ثرواتها الطبيعية، لذلك أطلقنا على بحثنا اسم "النورمان" Normands أي "رجال الشمال" بدلاً من الفيكنج Vikings.

---

(1) Grant, p. 23

انظر شكر رقم ٢ وعن السفينة الحربية داراكار Knorوعن السفينة التجارية المسماة كنور انظر شكل رقم (١) إذا أوردنا ثلاثة أشكال مختلفة.Darakkar

(2) Cyrot, p. **18** ; Gibson, p. 30; Grant, p. **36**.

(3) Gibson, p. **6**

ولمزيد من التفاصيل انظر: Lynch: Les Vikings, Des Ecumeurs Venus Du Nord, p. **128- 133**; **147- 157**

الخــاتمة

خلاصة هذا البحث الجديد والمتواضع أن النورمان أثاروا هياجاً ونهباً ورعباً ودماراً، وتلطخت أيديهم بدماء الأبرياء في كل موضع وطأت فيه أقدامهم؛ كل هذا من أجل الثراء السهل والسريع. فبمجرد انطلاقهم من بحر البلطيق وإبحارهم في بحر الشمال ثم بحر المانش وشرقي المحيط الأطلسي. دب الفزع في قلوب سكان المدن الشاطئية على وجه الخصوص، الذين كانوت ينعمون بالأمن والأمان قبل أن يحل عليهم هؤلاء القراصنة، كذلك كان حال سكان الأنهار التي أبحروا فيها ومنها: نهر السين ونهر اللوار ونهر إسكو ونهر ميز ونهر الساؤون، فقاطنوا تلك المواضع وعانوا الأمرين من ويلاتهم.

كما أثبتنا مدى فاعلية سفنهم الحربية الأسرع من كافة السفن آنذاك والتي جعلت من القراصنة النورمان قوة عظمى. كذلك طبقوا استراتيجية قائمة على المباغتة فأصبحوا كأنهم شياطين انقضوا على نفوس تنعم بالأمن والأمان، فأقضوا مضاجعهم وأتوا عليهم.

والخلاصة أن أحوال الدولة الكارولنجية كانت سبباً أساسياً فيما أحرزه النورمان من انتصارات، فسجلنا في لمحة عابرة أنه منذ عهد لويس التقي، اندلعت العديد من الحروب بينه وبين أولاده، وبموته استمرت أكثر ضراوة بين ثلاثة ورثة أعداء، بينما الأحوال تطلبت وحدة الصف لمواجهة خطر ثان داخلي، تمثل في ثورة أدواق بروتانيو الخاضعين للسيادة الكارولنجية سعياً للاستقلال عمن لا يقوى على الدفاع عن مملكته، ولم يكتفوا بذلك، بل استعانوا وتحالفوا مع العدو الخارجي. وبالتالي أصبحت مملكة فرنسا الغربية وملكها شارل الأصلع بين شقي الرحى.

أما طبقة الفرسان الذين كان لا هم لهم في العصور الوسطى الباكرة، إلا التمرس على فنون الحرب والقتال، واتسموا آنذاك بالشجاعة والتضحية؛ أصبحوا آنذاك منخوري القوى يسارعون

بدفع "ذهب الدانيين"(١) "Daneged" حفاظاً على حياتهم، بدلاً من رفع السلاح في وجه القراصنة النورمان ومما زاد الأمر سوءا أن رجال الإكليروس لا هم لهم إلا الفرار بمقدساتهم وأموالهم من ذهب وفضة وأحجار كريمة إن أمكن تاركين رعاياهم دون رعاية، تلك الرعاية التي نصت عليها عقيدتهم، بل هادنوا الغزاة حفاظاً على حياتهم دون حياة رعاياهم، حين دفعوا فدية –كحال الفرسان– حفاظاً على أرواحهم أولاً، ثم ممتلكاتهم وثرواتهم ومقدساتهم ثانياً، كذلك كان حال الأثرياء.

مما تقدم، أوضحنا أن الطريق كان ممهداً أمام القراصنة النورمان، وازدادوا كثرة بانضمام أعداء هائلة إلى صفوفهم وخاصة كل باحث عن الثراء وما أكثرهم آنذاك.

والجديد الذي أتى به البحث أيضاً أن النورمان في الفترة من سنة ٨٤٠م إلى سنة ٨٤٥م، كانوا يقومون باجتياح البلدان الضعيفة في استحكاماتها ودفاعاتها، ويأتون عليها، ثم يعودون بغنائمهم إلى مواطنهم ثانية خوفاً من حلول فصل الشتاء ببرده القارس. فكان هذا الفصل خير مدافع طبيعي عن البشر المتقاعس. إلا أنه في حملتهم على شبه جزيرة بروتانيو حدث تطور جديد؛ إذ احتلوا جزيرة نورموبيه واكتشفو فيها صلصالاً، مما ساعدهم على تشييد منازل تأويهم وتحميهم من عداء الطبيعة لهم. وبالتالي كان ذلك مقدمة لاتخاذ تلك الجزيرة ذات الموقع الاستراتيجي الهام، موطأ قدم لهم، وقاعدة عسكرية ينطلقون منها في غزوات تهدف إلى بسط سيادتهم على نهري اللوار والجارون من ناحية، بل وعلى جنوب مملكة فرنسا الغربية.

---

(١) الجدير بالذكر أنه خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين دفع ملوك فرنسا آنذاك إلى النورمان خمس عشرة فدية Danegeld المسماة آنذاك ذهب النورمان بلغت أكثر من ثمانية عشر ألف كجم من الفضة و٢٧٥ كجم من الذهب انظر: Lyc,h, les Vikings, p. 58

كان ذلك خلال الأعوام ٨٤٥، ٨٥٣، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٦، ٨٧٧، ٨٨٤، ٨٨٩، ٨٩٧، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٦. انظر:

D'haenens, A., les invasions Normandes, une catastrophe? Paris, 1970, p. 41.

ومن ناحية أخرى، انطلقوا إلى الأندلس محاولين نهبها وغزوها إلا أن مسلمي الأندلس بتروا أقدامهم بعد أن ألحقوا بهم شر الهزائم وبالتالي لم يخطر على بالهم أن يهاجموهم ثانية.

إضافة إلى ما تقدم، فإنه بتفحصنا وتمحيصنا للمصادر عثرنا على ذكر لتحالف ثنائي أي ما يشبه اتفاقية دفاع مشترك تمت بين البروتون– أي سكان شبه جزيرة بروتانيو– والنورمان كان هدف البروتون من هذا التحالف، الحفاظ على استقلالهم وعدم ابتلاع أراضيهم، وبالتالي ضياع كيانهم؛ خاصة وأنهم امتداد طبيعي لمملكة غرب فرنسا ولا فاصل طبيعي بينهما. كما كانوا يدركون تماماً أنهم هاجروا من انجلترا إلى أراضٍ فرنسية؛ وبالتالي كونوا كياناً غريباً على أراضٍ استوطنوها نتيجة ضعف السلطة المركزية الفرنسية. لذا تحالفوا مع النورمان، "مغول العصر" حفاظاً على كيانهم وتطبيقاً للمبدأ القائل "عدو عدوي صديقي" وأدرك قادتهم بثقاب بصرهم وبصيرتهم أنهم بهذا التحالف مع قاهري مملكة غرب فرنسا سيحافظون على استقلالهم بعيداً عن الخضوع لسيادة تلك المملكة.

أما النورمان فكانوا يتعطشون إلى البحث عن موطأ قدم على أراضي إحدى الممالك الثلاث التي تكونت نتيجة معاهدة فردان سنة ٨٤٣م ألا وهي: فرنسا وألمانيا وإيطاليا، وبالفعل وجدوا ضالتهم في جزيرة نوراموبيه التي اتخذوها قاعدة عسكرية استراتيجية بالغة الأهمية لكونها موطأ قدم إذ أتاحت لهم فرصة الإغارة على الممالك الثلاث المتنازعة طوال فصول السنة.

وقد سجلنا أيضاً أنه في سنة ٨٤٥، حدث تطور جديد في استراتيجية النورمان مفاده أنهم تحولوا إلى مرحلة "الاستيطان" بعد أن كانوا من قبل "ينبهون وينسحبون" خوفاً من قدوم فصل الشتاء، أي أن إغارتهم امتدت طوال فصول السنة الأربعة، فازدادت غنائمهم كثرة. ومما شجعهم على ذلك، ارتفاع معنوياتهم نتيجة انتصاراتهم المتلاحقة، وكذا وجود قاعدتين عسكريتين ومراسي الأنهار التي أقاموها، كما لا يفوتنا ذكر سفن "الدراكار" أسرع السفن آنذاك والمجهزة بأحدث التجهيزات القتالية.

وخلصنا أيضاً أن "شارل الأصلع" شجعهم بطريقة غير مباشرة – على رغبتهم في الاستيطان على أراضيه الغارقة في ثروات طبيعية لا حصر لها من ناحية، وحين دفع لهم فدية قدرها سبعة آلاف جنيه من الفضة مقابل الجلاء عن عاصمته باريس–، حفاظاً على أرواح قاطنيها ومقدساتها ورجال "إكليروسها" من ناحية ثانية، فعاشوا في "نورماندية" (نورمانديا) أي على أراضي مملكة فرنسا الغربية –التي أصبحت فرنسا فيما بعد– في نعيم بعد أن كانوا في جحيم في بلادهم.

والجدير بالذكر أننا اتبعنا في بحثنا المتواضع هذا الأسلوب التحليلي للأحداث، مع مراعاة إبداء رأينا في الكثير منها. كما حرصنا حرصاً بالغاً على استقاء مادتنا العلمية من بطون المصادر الأجنبية وشاء الحظ أن هذه المصادر الخاصة بالفترة الزمنية موضوع البحث نشرت معظمها في "مجموعة مؤرخي بلاد الغال وفرنسا"، الجزء السابع فكانت ثروة علمية هائلة بالنسبة لنا.

مما تقدم، يعد البحث إضافة جديدة متواضعة إلى المكتبة الغربية؛ لكونه لم يتناوله أحد من قبل.

بيان المختصرات

- MGH: Monumenta Germaniae Historica.
- RHGF: Recueil Des Historiens Des Gaules Et De France.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأجنبية.

ثانياً: المراجع الأجنبية.

ثالثاً: القواميس ودوائر المعارف.

رابعاً: الأطالس التاريخية.

خامساً: الخرائط.

سادساً: الأشكال والصور.

المصادر الأجنبية

- Aimoin de Saint- Germain,
- Transilation et Miraculis Sancti Germani,
- Ed. G. Waitz, in MGH, Scriptores, t. xv, (I) Hanover, Hann, 1887, p. 4-16.
- Annales Francorum Bertiniani, in RHGF., p. 57- 124.
- Appendice secunda ad Chronicum Fontanellense, in RHGF., Tome. vii, p. 231.
- Brevi Chronico S. Gali, in RHGF, Tome, VII, p. 207- 208.
- Charonico S. Maxentii, in RHGF., Paris, 1869, p. 228-229.
- Chronico Ademari Chabannensis, in RHGF,m p. 225- 227.
- Chronico Aquitanico, in RHGF., Paris, 1869, Tome. vii, p. 223.
- Chronico De Gestis Normannorum, in RHGF., p. 152- 154.
- Chronico Engolismensi, in RHGF., Tome. VII, p. 222.
- Chronico Fratris Richardi, in RHGF., Tome, VII, p. 258- 258.
- Chronico Nametensi, in RHGF., Paris, 1865, Tome. VII, p. 217- 220.
- Chronico Sithiensi, Auctore Johanne iperio, in RHGF., Tome. vii, p. 266-269.
- Chronico, Historiae Franciae Franciae, in RHGF., Paris, 1868, Tome. VII, p. 224.
- Chroniques de Saint denis, in RHGF. Paris, 1869, p. 125-151.
- De Carolo Calvo, in RHGF., Tome. vii, p. 340-382.
- Diversis Chronicis, in RHGF., Tome. VII, p. 270 – 276.
- Duchesne, A.,
- Historia Francorum Scriptores, Tome., II, Paris, Cramoisy, 1936.
- Eginhardi, Vita Karoli, Tr. Louis Halphen, Paris, 1947.

- Ermentaire,
- Ermentaire,
  - Tranlationes et miracula s. Philibert, ed. R. Poupardin, in monuments de l' Histoire des Abbayes de Saint- Philibert, Paris, 1905.
- Espistolae lupi Ferrariensis Abbatis, in RHGF., Tome. p. 480-517.
- Fragmentum Chronici Fontanellenensis, Auctore Monacho Fontanel, in RHGF., VII, p. 40- 43.
- Fragmentum Historiae Britanniae Armoricae, in RHGF., p. 46-52.
- Gesti Consulum Andegavensium, in RHGF., Tome. vii p. 256.
- Gregory of Tours,
  - History of the Franks, Tr. By Eames Brehaut, London, 1971.
- Hermani Contracti Charonico, in RHGF., Tome, VII, p. 237.
- Historiae eversionis Minasterii S. Florentii veteris in RHGF., Tome. vii, p. 56.
- libro Hincmari Archiep REM de divrtio lotharii regis, in RHGF., Tome. vii, p. 292-296.
- Libro Monasterii S. Wandergisili, in RHGF., Tome. vii, p. 44-45.
- Loup DE Ferrieres,
  - Lettre a' Guenelon, Archeve'que De Sens, Ecrite Le 22 Novembre 845, Ed. Et Trad. L. Levillain, Tome. I, Paris, 1964.
- Nithardi Angilberti Filii et Caroli M. Nepotis Historia, in RHGF., Paris, 1869, Tome. p. 10-33.
- Translatio Sancti Germani Parisiensis, in Analecta Bollandiana, 11, Paris 1883, p. 69-83.
- Translatione et Miraculis Sancti Germani, Ed. G. Watz, in MGH, Scriptores, Tome. Xv (I), Hanover, Hann p. 4- 16.

ثانياً: المراجع

المراجع الأجنبية

- Grant,

L. les Vikings, Paris, 1998.

- Chedeville, A.,

La France au Moyen AGE, Paris, 1964.

- Fauvel, J–J.,

France, Parise, 1995.

- Monnier, J.J., Cassard, J.C.,

Toute L'Histoire de Bretagne, Bretagne, 2012.

- Chardronnet., J.,

Histoire de Bretagne, Paris, 1980.

- Le Menorel, A.,

Nouvelle Histoire de La Normandie, Toulouse, 2004.

- Lair, J.,

Les Normandes dans L' ile Doscelle, Paris, 1897.

- Lych, J. M.,

Les Vikings, les Ecumeurs Venus du Nord, Paris, 1994.

- Monmarche, f.,

La France, Paris, 1995.

- Decaux, A.,

Histoire de France Au Moyen Age, Paris, 2005.

- Cassard, J.,

- Le Monde Au temps Des In Vasions De La Fin Du IVe Siecle a' La Fin Du Xe Sience, Paris, 1967.
- Gauvard, C.,
- Histoire De France Au Moyen Age, Paris, 2010.
- Dumont, G.,
- Au Coeur Du Moyen Age, Paris, 2001.
- Salles, C.,
- Histoire D' Une Nation, Paris, 2003.
- Moiquel, p.,
- Histoire De France, Paris, 1976.
- Lebecq, S.,
- Les origins Fanques Ve – Ixe Siecle Lille, 2010.
- Barbey, A.,
- La France, Paris, 2005.
- Steenstrup, J.,
- Les Invasions Normandes En France, Paris, 1969.
- Bauduin, p.,
- Le Minde France et Les Vikings, VIIIe –Xe– Siecle, Paris, 2009.
- Antoine, p., Maillard, L.,
- Les I Les De France, 3, Paris, 1997.
- Harbert, L.,
- Entre La Croix et le Croissant, Paris, 2015.
- Neveux, F.,
- L' Aventure Des Normands, VIII e – XIIIe Siecle, Paris, 2006.

- Regis, B.,
- Les Vikings, Paris, 2014.
- Cyrot, J.,
- Histire Du Monde Du VIIIe Au xvie Siecle, Le Moyen Age Et La Renaissance, Paris, 1982.
- Renaud, J.,
- Les Vikings Et Les Celets, Rennes, 1992.
- D' Haenens, A.,
- Les Invasions Normandes, Une Catastrophe? Paris, 1970.

ثالثاً: الخرائـــط:

خريطة رقم (١)

- أنهار فرنسا.
- نقلاً عن: Costa, B., Le Grand Liver De La France, Paris, 2007, p. 17.

خريطة رقم (٢)

- بروتانيو في القرن التاسع الميلادي.
- نقلاً عن: Chardronnet, J., Histoire de Bretagne, Paris, 1985, p. 47.

خريطة رقم (٣)

- جزيرة نوارموتييه والجزر الواقعة جنوبها.
- نقلاً عن: Antione, P., Maillard, L. Les 1Les De France, 3, Paris, 1997, p. 42.

خريطة رقم (٤)

- أهم مدن نهر اللوار.
- نقلاً عن: Costa, B., Le Grand Liver De La France, Paris, 1985, p. 94.

خريطة رقم (٥)

- حدود مملكة شارل الأصلع بموجب معاهدة فردان.
- نقلاً عن: Chedeville, A., La France Au Moyen Age, Paris, p. 29

رابعاً: الأشكال والصور:

شكل رقم (١)

- ثلاثة أشكال مختلفة للدراكار.
- نقلاً عن: Decaux, A., L' Histoire De France Au Moyen Age, Paris, 2005, p. 90.

شكل رقم (٢)

- سفينة تجارية نورماندية اكتشفت في الدانمارك.
- نقلاً عن: Gibson, M., Les Vikings, Paris, 1977, p. 32.

خامساً: القواميس ودوائر المعارف

- Hachette.,

Le dictionaire de notre temps, Paris, 1990.

- Vallard, D.,

Dictionnaire historique, Paris, 1995.

- Larousse Grand Format, Paris, 2005, p. 1652.
- Bukor, H.,

Atlas des pays du monde, Paris, 1997.

سادساً: الأطالس التاريخية

- Brochard, Ph.,

Atlas Historique du moyen AHE, Paris, 1986.

- Joutard, PH.,

Atlas des lieux historique la France, Paris, 1984.

- ARZ, C.

A la decouvert de la France myeterieuse, Paris, 2001.